يوسيفوس فلافيوس

ضد أبيون



ترجمة : مصطفى القماش

يوسيفوس فلافيوس

ضد أبيون

ترجمة : مصطفى القماش

تقديم

كتب المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس 37- 100 م من القرن الأول كتاب ضد أبيون للرد على الرسالة التى اعتبرها معادية لليهود كتبها العالم النحوي المصرى وشارح هوميروس أبيون بلستونيكس 20 ق.م : 45 م وهو من من أصل مصري ولد فى واحة سيوة . كان أبيون قد كتب رسالته ضد اليهود في خضم الأزمة التي نشأت في عاصمة مصر الإسكندرية في الثلث الأول من ذلك القرن .

وقد كان أبيون يعمل مندوباً رسمياً للإمبراطور جايوس كاليجولا نيابة عن زملائه الإسكندرانيين. وكان بعض الأرستقراطيين المصريين قد استاءوا من محاولات اليهود الحصول على المزيد من الحقوق المصاحبة لحقوق المواطنة الإسكندرية من الإمبراطور الروماني كاليجولا .

وقد أدى نشوب هذه الأحداث إلى حدوث أعمال شغب واسعة النطاق (41-38م) تم خلالها حرق الحي اليهودي في مدينة الإسكندرية . وبعد وفاة كاليجولا مباشرة، قام الإمبراطور كلوديوس بقمع الاضطرابات من خلال توبيخ شديد لكلا الطرفين في مرسوم تم الحفاظ على نصه حتى يومنا هذا.

أعاد أبيون كتابة ونشر أقوال سبق أن قدمها المؤرخ والكاهن المصري مانيتو والكاتبان اليونانيان مناسياس الباترا وأبولونيوس مولون، بأن اليهود ينحدرون من مجموعة من العبيد المصريين المصابين بالجذام الذين فروا من البلاد، وأنهم كانوا يكرهون البشر، ويعبدون رأس حمار، ويقدمون التضحيات البشرية، وأن مراعاة اليهود لقوانين غذائية غريبة والختان يثبتان نسبهم المصري. حاول يوسيفوس تشويه ادعاءات أبيون من خلال هجوم شخصي مزدوج. الأول ينعكس في هذا المقطع، والثاني يشكك في شرعية أبيون كمؤرخ وكذلك مصداقية مصادره.

ومن أشهر أقوال يوسيف فلافيوس اليهودى فى كتابه:

1- كان المصريون أول من عاتبنا إرضاءً لأمتهم، بينما سعى آخرون إلى تحريف الحقيقة، ورفضوا الاعتراف بأن أسلافنا قدموا إلى مصر من بلد آخر، كما كانت الحقيقة، ولم يقدموا رواية حقيقية عن رحيلنا من هناك.
2- ولقد انتهز المصريون فرصًا عديدة لكرهنا وحسدنا؛ أولًا لأن أسلافنا حكموا بلادهم، وعندما تحرروا منهم، ذهبوا إلى بلادهم.
3- -ثم إن اختلاف دياناتنا تسبب في عداوة كبيرة بيننا، بينما تجاوزت عبادتنا الإلهية ما حددته قوانينهم، كما تتجاوز طبيعة الله طبيعة الوحوش، لأن البلاد كلها تتفق على اعتبار هذه الحيوانات آلهة، وإن كانت تختلف في عبادتها الخاصة التي تؤديها لها كل منطقة.
4- ومن المؤكد أنهم رجال ذوو عقول حمقاء ومغرورة، اعتادوا منذ البداية على أن تكون لديهم مثل هذه الأفكار السيئة عن آلهتهم، ولم يفكروا في تقليد ذلك الشكل اللائق للعبادة الإلهية الذي نستخدمه، على الرغم من أنهم عندما رأوا مؤسساتنا تحظى بموافقة الكثيرين، لم يتمكنوا إلا من حسدنا على ذلك؛ فقد وصل بعضهم إلى درجة من الحماقة والدناءة في سلوكهم، بحيث لم يترددوا في مناقضة سجلاتهم القديمة، وحتى مناقضة أنفسهم في كتاباتهم، ومع ذلك فقد أعمتهم أهواؤهم لدرجة أنهم لم يميزوا ذلك.

بهذه الفقرة، شنّ المؤرخ اليهودي يوسيفوس، من القرن الأول، أولى هجماته كاستراتيجيةٍ لدحض افتراءات أبيون المعادية لليهود. فبالإضافة إلى دفاعه عن التاريخ والممارسات اليهودية بشروطها الخاصة، استخدم يوسيفوس في هجومه العديد من الافتراءات المعادية للمصريين، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في المقتطف أعلاه: أن المصريين يعبدون الحيوانات. يستخدم يوسيفوس هذا الادعاء لإثبات افتقار المصريين إلى الحنكة الدينية، وبالتالي فإن أي ادعاءات دينية قد يطلقها المصريون (مثل أبيون) عن اليهود يجب رفضها باعتبارها باطلة.

ومع أن هذه المواقف المعادية للمصريين يمكن اعتبارها مجرد دفاع عن النفس، إلا أن هذه الافتراءات ساهمت في تأجيج مجموعة من التحيزات الشائعة بين الرومان المثقفين. وهكذا، فإلى جانب استمالته لجمهوره الروماني وربطه بين اليهود

والرومان (بحكم حنكتهم المشتركة)، فإن هذه الافتراءات ساهمت في ترسيخ هذا النوع من العداء للمصريين الذي كان متفشيًا خلال فترة الحكم الروماني في مصر.

وقد تم تبني هذا التقييم المهين لنوع الروحانية الذي كان يُعتقد أنه يمثل الديانة المصرية الأصلية في وقت لاحق من قبل المسيحية والإسلام، واستمر في جميع المعالجات الأدبية اليهودية للوثنية.

الكتاب الأول

1- أظن أن إيبفروديتس، الموقر، قد أوضح لمن اطلع عليه من خلال كتبي عن تاريخ اليهود العريق، أن أمتنا اليهودية ذات عراقة عظيمة، وكان لها أصلها الخاص، كما أوضحت فيها كيف سكنّا هذه البلاد التي نعيش فيها الآن. تحتوي هذه الآثار على تاريخ خمسة آلاف عام، وهي منقولة من كتبنا المقدسة، ولكني ترجمتها إلى اللغة اليونانية. ومع ذلك، بما أنني ألاحظ عددًا كبيرًا من الناس يصغون إلى الانتقادات التي يوجهها إلينا أولئك الذين يكنون لنا سوء النية، ولا يصدقون ما كتبته عن تاريخ أمتنا العريق، إذ يعتبرونه دليلًا واضحًا على حداثة أمتنا، إذ لم يذكرهم حتى أشهر المؤرخين اليونانيين. لذلك، رأيتُ نفسي مُلزمًا بالكتابة بإيجاز عن هذه المواضيع، لأُدين من يُعاتبنا على الحقد والكذب المُتعمد، ولأُصحح جهل الآخرين، ولأُرشد كل من يرغب في معرفة حقيقة قدمنا. أما الشهود الذين سأُقدمهم لإثبات ما أقول، فسيكونون من يُقدّرون بصدقهم، وأمهرهم في معرفة كل العصور القديمة من قِبل اليونانيين أنفسهم. سأُبيّن أيضًا أن من كتبوا عنا بهذا اللوم والكذب سيُدانون بما كتبوه هم أنفسهم على عكس ذلك. سأسعى أيضًا إلى تقديم سرد لأسباب قلة ذكر اليونانيين لأمتنا في تاريخهم. مع ذلك، سأُسلّط الضوء على اليونانيين الذين لم يُغفلوا تاريخنا، من أجل من يجهلهم أو يتظاهرون بجهلهم.

2- والآن، في المقام الأول، لا يسعني إلا أن أتعجب بشدة من هؤلاء الرجال، الذين يفترضون أنه يجب علينا أن نهتم باليونانيين فقط، عندما نستفسر عن أقدم الحقائق، ويجب أن نتأكد من حقيقتها منهم فقط، بينما يجب ألا نصدق أنفسنا أو غيرنا من الرجال؛ لأنني مقتنع أن العكس هو الصحيح. أعني هذا، إذا لم ننقاد للآراء الباطلة، بل سنبحث عن الحقيقة من الوقائع نفسها؛ لأنهم سيجدون أن كل ما يتعلق باليونانيين تقريبًا حدث منذ وقت ليس ببعيد؛ بل قد يقول قائل، إنه من الأمس فقط. أتحدث عن بناء مدنهم واختراعات فنونهم ووصف قوانينهم؛ أما عن اهتمامهم بتدوين تاريخهم، فهو قريب جدًا من آخر شيء بدأوه. ومع ذلك، فهم يعترفون بأنفسهم حتى الآن، بأن المصريين والكلدانيين والفينيقيين (لأنني لن أعتبر أنفسنا من بينهم الآن) هم الذين حافظوا على آثار أقدم تقاليد البشرية وأكثرها ديمومة. لأن جميع هذه الأمم تقريبًا تسكن بلدانًا أقل عرضة للدمار من العالم المحيط بها؛ وقد حرصوا أيضًا على عدم حذف أي شيء مما حدث [بشكل ملحوظ] فيما بينهم؛ بل اعتُبر تاريخهم مقدسًا، ووُضع في موائد عامة، كما دونه رجالٌ من أعظم الحكمة بينهم. أما المكان الذي يسكنه اليونانيون، فقد لحقت به عشرة آلاف حالة دمار، ومحت ذكرى أفعالهم السابقة؛ حتى أنهم كانوا يبدأون دائمًا أسلوب حياة جديدًا، واعتقدوا أن كل واحدة منها هي أصل دولتهم الجديدة. كما تأخر كثيرًا، وبصعوبة، أن يعرفوا الحروف التي يستخدمونها الآن؛ لأن أولئك الذين يزعمون أن استخدامهم لهذه الحروف يعود إلى أقدم العصور يدّعون أنهم تعلموها من الفينيقيين ومن قدموس؛ ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يثبت أن لديهم أي كتابة محفوظة من ذلك الوقت، لا في معابدهم ولا في أي آثار عامة أخرى. يبدو هذا لأن زمن الذين عاشوا في حرب طروادة، بعد سنوات عديدة، محل شك كبير، ويُجرى بحثٌ مُعمّق عمّا إذا كان اليونانيون قد استخدموا حروفهم في ذلك الوقت؛ والرأي السائد، وهو الأقرب إلى الحقيقة، هو أن طريقتهم الحالية في استخدام تلك

الحروف لم تكن معروفة في ذلك الوقت. ومع ذلك، لا توجد كتابة يُجمع اليونانيون على صحتها أقدم من قصائد هوميروس، الذي لا بد أنه اعترف بوضوح بأنه دوّنها بعد حصار طروادة؛ بل يُقال إنه حتى لم يترك قصائده مكتوبة، بل حُفظت ذكراها في الأغاني، وجُمعت بعد ذلك، وهذا هو سبب كثرة الاختلافات فيها. 3 أما أولئك الذين شرعوا في كتابة تاريخهم، أعني كادموس الميلطي، وأكوسيلاوس الأرغوسي، وغيرهم ممن يُذكر أنهم خلفوا أكوسيلاوس، فقد عاشوا قبل الحملة الفارسية على اليونان بقليل. "ولكن بالنسبة لأولئك الذين أدخلوا الفلسفة لأول مرة، والنظر في الأمور السماوية والإلهية بينهم، مثل فيرسيدس السوري، وفيثاغورس، وثاليس، فإنهم يتفقون جميعًا بالإجماع على أنهم تعلموا ما عرفوه عن المصريين والكلدانيين، ولم يكتبوا إلا القليل. وهذه هي الأشياء التي يُفترض أنها الأقدم على الإطلاق بين اليونانيين؛ ولديهم الكثير من الجهد للاعتقاد بأن الكتابات المنسوبة إلى هؤلاء الرجال حقيقية.

3- كيف يمكن إذن أن يكون الأمر غير سخيف، أن يفخر اليونانيون بهذا القدر، وأن يفتخروا بأنهم الشعب الوحيد الذي يعرف العصور القديمة، والذي قدم الروايات الحقيقية لتلك العصور المبكرة بطريقة دقيقة؟ كلا، من الذي لا يستطيع أن يجمع بسهولة من الكتاب اليونانيين أنفسهم، أنهم لم يعرفوا إلا القليل على أي أساس جيد عندما شرعوا في الكتابة، بل كتبوا تاريخهم من تخميناتهم الخاصة؟ وبناءً على ذلك، فإنهم يدحضون بعضهم البعض في كتبهم الخاصة لغرض، ولا يخجلون. من إعطائنا أكثر الروايات تناقضًا لنفس الأشياء؛ وسأقضي وقتي بلا فائدة، إذا تظاهرت بتعليم اليونانيين ما يعرفونه بشكل أفضل مني بالفعل، ما هو الخلاف الكبير بين هيلانكوس وأكوسيلاوس حول أنسابهم؛ في عدد السهولة التي صحح بها أكوسيلاوس هسيود: أو بعد أي طريقة يوضح إيفوروس أن هيلانكوس قد كذب في الجزء الأكبر من تاريخه؛ كما يفعل تيميوس مع إيفوروس، ويفعل الكُتّاب اللاحقون

مع تيميوس، وجميع الكُتّاب اللاحقين مع هيرودوت. ولم يتفق تيميوس مع أنطيوخس وفيليستيوس، أو مع كالياس، بشأن تاريخ صقلية، كما لا يتفق كُتّاب الأثيديون المختلفون حول شؤون الأثينيين؛ ولا المؤرخون من أمثالهم، الذين كتبوا عن الأرغوليين، حول شؤون الأرغوسيين. والآن، ما حاجتي للحديث أكثر عن مدن معينة وأماكن أصغر، في حين أن أشهر كُتّاب حملة الفرس، وما جرى فيها، يختلفون اختلافًا كبيرًا؟ بل إن ثوسيديديس نفسه يُتَّهم من قِبَل البعض بأنه يكتب ما هو زائف، مع أنه يبدو أنه قد زودنا بأدق تاريخ لشئون عصره.

4- أما بالنسبة لاختلافهم الشديد، فقد يُعزى إلى أسباب كثيرة محتملة، إن أراد أحدٌ البحث فيها؛ لكنني أُرجع هذه التناقضات أساسًا إلى سببين، سأذكرهما الآن، وما زلت أعتقد أن ما سأذكره أولًا هو السبب الرئيسي. فإذا تذكرنا أن اليونانيين في البداية لم يُعنوا بحفظ السجلات العامة لمعاملاتهم المختلفة، فلا بد أن هذا قد أتاح لمن سيكتبون عنها لاحقًا فرصة ارتكاب الأخطاء، بل وإمكانية الكذب أيضًا؛ لأن هذا التسجيل الأصلي لمثل هذه المعاملات القديمة لم يُهمل من قِبل الدول اليونانية الأخرى فحسب، بل حتى من قِبل الأثينيين أنفسهم، الذين يدّعون أنهم من السكان الأصليين، والذين كرسوا أنفسهم للعلم، لا توجد مثل هذه السجلات؛ بل يقولون أنفسهم إن قوانين دراكو المتعلقة بالقتل، والتي توجد الآن مكتوبة، هي أقدم سجلاتهم العامة؛ والتي عاش دراكو قبل الطاغية بيسيستراتوس بقليل. 5 أما بالنسبة للأركاديين الذين يتباهون بقدمهم، فما الحاجة إلى أن أتحدث عنهم على وجه الخصوص، حيث لم يحصلوا على رسائلهم ويتعلموها إلا بعد ذلك، وكان ذلك بصعوبة أيضًا. 6

5- لذا، لا بد أن تنشأ اختلافات كبيرة بين الكُتّاب، عندما لا يكون لديهم سجلات أصلية ليضعوها كأساس لهم، والتي قد تُفيد على الفور أولئك الذين لديهم ميل للتعلم، وتُناقض أولئك الذين يكذبون. ومع ذلك، علينا أن

نفترض مناسبة ثانية إلى جانب السابقة لهذه التناقضات؛ وهي هذه: أن أولئك الذين كانوا أكثر حماسة لكتابة التاريخ لم يكونوا مهتمين باكتشاف الحقيقة، على الرغم من أنه كان من السهل جدًا عليهم دائمًا أن يجعلوا مثل هذه المهنة؛ ولكن عملهم كان إثبات قدرتهم على الكتابة بشكل جيد، وترك انطباع لدى البشرية من خلال ذلك؛ وبأي طريقة كتابة اعتقدوا أنهم قادرون على التفوق على الآخرين، والتي كرسوا أنفسهم لها، لجأ بعضهم إلى كتابة الروايات الخرافية؛ وسعى بعضهم إلى إرضاء المدن أو الملوك، من خلال الكتابة في مدحهم؛ وسقط آخرون منهم في إيجاد أخطاء في المعاملات، أو في كُتّاب مثل هذه المعاملات، وظنوا أنهم يصنعون شخصية كبيرة من خلال القيام بذلك. والواقع أن هؤلاء يفعلون ما هو من بين كل الأشياء الأكثر تناقضًا مع التاريخ الحقيقي؛ فمن أهم سمات التاريخ الحقيقي أن جميع المعنيين به يتحدثون ويكتبون نفس الأشياء؛ بينما يعتقد هؤلاء الرجال، باختلافهم في كتابة الأمور نفسها، أنهم يكتبون بأقصى درجات الاحترام للحقيقة. لذلك، علينا نحن اليهود أن نخضع للكتاب اليونانيين في اللغة وبلاغة التأليف؛ ولكننا لن نعطيهم أي تفضيل فيما يتعلق بصحة التاريخ القديم، ولا سيما فيما يتعلق بشؤون بلداننا المختلفة.

6- أما فيما يتعلق باهتمام المصريين والبابليين بتدوين السجلات منذ أقدم العصور، وأن الكهنة كانوا يُعهد إليهم بذلك، وأنهم أولوا اهتمامًا فلسفيًا به، وأن الكهنة الكلدانيين هم من فعلوا ذلك بين البابليين، وأن الفينيقيين، الذين اختلطوا باليونانيين، استخدموا رسائلهم على وجه الخصوص، سواءً في شؤون الحياة اليومية أو في تدوين تاريخ المعاملات العامة، فأعتقد أنه يجوز لي حذف أي دليل، لأن الجميع يجيزون ذلك. أما بالنسبة لأسلافنا، فإنهم لم يكونوا أقل اهتمامًا بتدوين هذه السجلات، [لأنني لن أقول إنهم اهتموا بها أكثر من غيرهم الذين تحدثت عنهم]، وأنهم أوكلوا هذا الأمر إلى كهنة عظام وأنبياء، وأن هذه السجلات كُتبت منذ القدم إلى عصرنا بأقصى درجات

الدقة؛ بل، إن لم يكن من جرأتي أن أقول ذلك، فسيُكتب تاريخنا بهذه الطريقة فيما بعد؛ فسأحاول أن أخبركم بإيجاز.

7- "فإن آباءنا لم يكتفوا بتعيين أفضل هؤلاء الكهنة، وأولئك الذين حضروا العبادة الإلهية، لهذا الغرض منذ البداية، بل رتبوا أن يبقى نسل الكهنة نقيًا غير مختلط؛ فمن يشترك في الكهنوت يجب أن يلد زوجة من نفس الأمة، دون اعتبار للمال أو أي كرامة أخرى؛ بل عليه أن يدقق، ويأخذ سلسلة نسب زوجته من الألواح القديمة، ويحصل على شهود كثيرين على ذلك. 7وهذه هي عادتنا ليس فقط في اليهودية، بل حيثما يعيش أي جماعة من رجال أمتنا؛ وحتى هناك يتم الاحتفاظ بفهرس دقيق لزواجات كهنتنا؛ أعني في مصر وبابل، أو في أي مكان آخر من بقية الأرض الصالحة للسكنى، حيث تشتت كهنتنا؛ لأنهم يرسلون إلى أورشليم الأسماء القديمة لآبائهم كتابةً، وكذلك أسماء أسلافهم الأبعد، ويشيرون إلى من هم الشهود أيضًا. ولكن إذا اندلعت أي حرب، مثل تلك التي اندلعت بالفعل كثيرًا منها، عندما غزا أنطيوخس إبيفانيس بلادنا، كما فعل بومبي الكبير وكوينتيليوس فاروس أيضًا، وخاصة في الحروب التي حدثت في عصرنا، فإن هؤلاء الكهنة الذين نجوا منها يؤلفون جداول جديدة للأنساب من السجلات القديمة، ويفحصون ظروف النساء الباقيات؛ لأنهم ما زالوا لا يعترفون بمن كانوا أسيرين، على أنهم يشتبهون في أنهم تحدثوا مع بعض الأجانب. ولكن أقوى حجة على إدارتنا الدقيقة في هذا الأمر هي ما سأقوله الآن، وهو أن لدينا أسماء كهنتنا العظام من الأب إلى الابن مدونين في سجلاتنا لفترة ألفي عام؛ وإذا كان أي منهم قد انتهك هذه القواعد، فإنه ممنوع من تقديم نفسه إلى المذبح، أو أن يكون مشاركًا في أي من تطهيراتنا الأخرى؛ وهذا أمر عادل، أو بالأحرى ضروري، لأنه لا يُسمح لأي شخص أن يكون كاتبًا من تلقاء نفسه، ولا يوجد أي خلاف فيما هو مكتوب؛ فهم فقط أنبياء كتبوا الروايات

الأصلية والأقدم للأشياء كما تعلموها من الله نفسه بالوحي؛ وكتب آخرون ما حدث في أوقاتهم الخاصة، وبطريقة مميزة للغاية أيضًا.

8- لأنه ليس لدينا عدد لا يحصى من الكتب بيننا، متعارضة ومتناقضة مع بعضها البعض، [كما هو الحال مع اليونانيين]، ولكن فقط اثنين وعشرين كتابًا، 8 التي تحتوي على سجلات جميع الأوقات الماضية؛ والتي يُعتقد بحق أنها إلهية؛ وخمسة منها تنتمي إلى موسى، والتي تحتوي على قوانينه وتقاليد أصل البشرية حتى وفاته. كانت هذه الفترة الزمنية أقل بقليل من ثلاثة آلاف عام؛ ولكن فيما يتعلق بالوقت من وفاة موسى حتى عهد أرتحشستا ملك فارس، الذي حكم بعد زركسيس، كتب الأنبياء، الذين كانوا بعد موسى، ما حدث في عصرهم في ثلاثة عشر كتابًا. تحتوي الكتب الأربعة المتبقية على ترانيم لله، ووصايا لسلوك الحياة البشرية. صحيح أن تاريخنا قد كُتب منذ أرتحشستا على وجه الخصوص، ولكن لم يُقدَّر بسلطة مماثلة مع السابق من قبل أجدادنا، لأنه لم يكن هناك خلافة دقيقة للأنبياء منذ ذلك الوقت؛ ويتضح من أعمالنا مدى ثقتنا بهذه الكتب الصادرة عن أمتنا؛ فعلى مر العصور الماضية، لم يجرؤ أحد على إضافة أي شيء إليها، أو حذف أي شيء منها، أو إجراء أي تغيير فيها؛ ولكن أصبح من الطبيعي لجميع اليهود منذ ولادتهم أن يعتبروا هذه الكتب تحتوي على عقائد إلهية، وأن يتمسكوا بها، وأن يموتوا من أجلها طوعًا إذا دعت الحاجة. فليس من الجديد أن يُرى أسرانا، وهم كثيرون في العدد، وكثيرون في الوقت نفسه، وهم يتعرضون للتعذيب والموت من جميع الأنواع في المسارح، حتى لا يضطروا إلى قول كلمة واحدة ضد قوانيننا والسجلات التي تحتوي عليها؛ بينما لا يوجد أحد على الإطلاق بين اليونانيين الذين سيتحملون أقل ضرر لهذا السبب، لا، ولا في حالة إتلاف جميع الكتابات الموجودة بينهم؛ لأنهم يعتبرونها خطابات مصاغة بشكل يرضي ميول أولئك الذين يكتبونها؛ "وهم يتفقون تمامًا مع رأي الكتاب القدماء، لأنهم يرون أن بعض أفراد الجيل الحالي جريئون بما

يكفي للكتابة عن مثل هذه الأمور، التي لم يكونوا حاضرين فيها، ولم يكن لديهم ما يكفي من الاهتمام للحصول على المعلومات عنها من أولئك الذين عرفوها؛ ويمكن أن نجد أمثلة على ذلك في حربنا الأخيرة، حيث كتب بعض الأشخاص تواريخ ونشروها، دون أن يكونوا في الأماكن المعنية، أو يكونوا بالقرب منها عندما وقعت الأحداث؛ لكن هؤلاء الرجال جمعوا بعض الأشياء عن طريق الإشاعات، وأساءوا معاملة العالم بوقاحة، وأطلقوا على هذه الكتابات اسم "التواريخ".

9- أما أنا، فقد دوّنتُ تاريخًا دقيقًا لتلك الحرب برمتها، وكل ما دار فيها من تفاصيل، بصفتي مشاركًا في جميع أحداثها؛ إذ كنتُ قائدًا لمن يُسمّون بالجليليين بيننا، ما دام بإمكاننا إبداء أي معارضة. ثم قبض عليّ الرومان، وأسروني. كما حرسني فسباسيان وتيتوس، وأجبراني على مراقبتهما باستمرار. في البداية، وُضعتُ في قيود، ثم أُطلق سراحي بعد ذلك، وأُرسلتُ لمرافقة تيتوس عندما جاء من الإسكندرية إلى حصار القدس؛ وخلال هذه الفترة لم يحدث شيء يغيب عني؛ فقد رأيتُ ودوّنتُ بعناية ما حدث في المعسكر الروماني، وما جلبه الفارون [من المدينة] من معلومات، وكنتُ الوحيد الذي فهمها. بعد ذلك، حصلتُ على قسط من الراحة في روما؛ وعندما جهزتُ جميع موادي لذلك العمل، استعنتُ ببعض الأشخاص لمساعدتي في تعلم اللغة اليونانية، وبهذه الوسائل دوّنتُ تاريخ تلك الأحداث. وكنت على يقين تام من صحة ما رويته، لدرجة أنني لجأت أولاً إلى أولئك الذين كانت لهم القيادة العليا في تلك الحرب، فيسباسيان وتيتوس، كشهود لي، لأنني قدمت لهم تلك الكتب أولاً وقبل كل شيء، وبعدها إلى العديد من الرومان الذين شاركوا في الحرب. كما بعتها أيضًا للعديد من رجالنا الذين فهموا الفلسفة اليونانية؛ ومن بينهم يوليوس أرخيلاوس، وهيرودس [ملك خالكيذا]، وهو شخص ذو مكانة عظيمة، والملك أغريبا نفسه، وهو شخص يستحق الإعجاب الأكبر. والآن، شهد لي كل هؤلاء الرجال بأنني كنت شديد الاحترام

للحقيقة؛ ومع ذلك ما كانوا ليخفيوا الأمر أو يصمتوا، إذا كنت، بدافع الجهل أو بدافع عدم تفضيل أي جانب، قد أضفت ألوانًا زائفة إلى الأفعال أو حذفت أيًا منها.

10- لقد حاول بعض الأشرار تشويه تاريخي، واعتبروه نوعًا من التمثيل المدرسي لتدريب الشباب. يا له من اتهام وافتراء غريب! إذ ينبغي على كل من يتولى نقل تاريخ الأحداث أن يعرفها بدقة في المقام الأول، إما لأنه شارك فيها بنفسه، أو اطلع عليها ممن عرفوها. والآن، يمكنني أن أدعي بكل دقة استخدام هاتين الطريقتين من المعرفة في تأليف كلا عمليَّ؛ فكما ذكرتُ، ترجمتُ الآثار من كتبنا المقدسة؛ وهو ما استطعتُ فعله بسهولة، لأني كنتُ كاهنًا منذ ولادتي، ودرستُ الفلسفة التي تتضمنها تلك الكتابات. أما بالنسبة لتاريخ الحرب، فقد كتبته بصفتي مشاركًا في العديد من أحداثه، وشاهدًا على معظم ما تبقى منه، ولم أكن جاهلًا بأي شيء قيل أو فُعل فيه. كم يستحق أولئك الذين يزعمون أنهم خالفوني بشأن حقيقة هذه الأمور، وقاحةً إذًا! فرغم تظاهرهم بالاستفادة من مذكرات الإمبراطورين، إلا أنهم لم يتمكنوا من معرفة شؤوننا نحن الذين حاربنا ضدهما.

11- اضطررتُ إلى هذا الاستطراد، رغبةً مني في فضح زيف من يدّعون كتابة التاريخ؛ وأظن أنني أوضحتُ بما فيه الكفاية أن هذه العادة في نقل تواريخ العصور القديمة قد حافظت عليها الأمم التي تُسمى برابرة أكثر من اليونانيين أنفسهم. أود الآن أن أقول بعض الأشياء لمن يحاولون إثبات أن دستورنا حديث العهد، ولهذا السبب، كما يزعمون، لم يذكر الكُتّاب اليونانيون شيئًا عنا؛ وبعد ذلك سأقدم شهادات على قدمنا من كتابات الأجانب؛ وسأُثبت أيضًا أن من يلومون أمتنا يظلمونها ظلمًا كبيرًا.

12- أما نحن، فنحن لا نسكن بلادًا بحرية، ولا نستمتع بالتجارة، ولا بالاختلاط بالناس الذي ينشأ عنها؛ بل المدن التي نسكنها بعيدة عن البحر، ولأن لنا أرضًا خصبة نسكنها، فإننا نحرص على رعايتها فقط. همنا الرئيسي

هو تربية أبنائنا تربيةً صالحة؛ ونرى أن من أهم واجباتنا في حياتنا كلها مراعاة القوانين التي أُعطيت لنا، والحفاظ على قواعد التقوى التي ورثناها. وبما أننا، بالإضافة إلى ما لاحظناه، كانت لنا طريقة عيش خاصة بنا، فلم تُتح لنا في العصور القديمة فرصة للاختلاط باليونانيين، كما حدث لهم للاختلاط بالمصريين، من خلال تعاملهم في تصدير واستيراد سلعهم المختلفة؛ كما اختلطوا أيضًا بالفينيقيين الذين كانوا يعيشون على شاطئ البحر، بفضل حبهم للربح في التجارة والبضائع. ولم يلجأ أسلافنا، كما فعل البعض الآخر، إلى السرقة؛ ولم يتورطوا في حروب خارجية من أجل كسب المزيد من الثروة، على الرغم من أن بلادنا كانت تحتوي على عشرات الآلاف من الرجال الشجعان الكافيين لهذا الغرض. ولهذا السبب سرعان ما أصبح الفينيقيون أنفسهم معروفين لدى اليونانيين عن طريق التجارة والملاحة، وبواسطتهم أصبح المصريون معروفين لدى اليونانيين أيضًا، كما فعل كل هؤلاء الأشخاص الذين حمل الفينيقيون منهم البضائع إلى اليونانيين في رحلات طويلة عبر البحار. كما أصبح الميديون والفرس معروفين لهم جيدًا عندما كانوا سادة آسيا؛ وكان هذا صحيحًا بشكل خاص بالنسبة للفرس، الذين قادوا جيوشهم إلى القارة الأخرى [أوروبا]. وكان التراقيون معروفين لهم أيضًا بقرب بلدانهم، والسكيثيون من خلال أولئك الذين أبحروا إلى البنطس؛ لأنه كان الأمر كذلك بشكل عام، حيث أصبحت جميع الأمم البحرية، وتلك التي سكنت بالقرب من البحار الشرقية أو الغربية، أكثر شهرة لأولئك الذين كانوا يرغبون في أن يصبحوا كُتّابًا؛ ولكن أولئك الذين كانت مساكنهم أبعد عن البحر كانوا في الغالب غير معروفين لهم ما يبدو أنه حدث لأوروبا أيضًا، حيث مدينة روما، التي امتلكت منذ فترة طويلة مثل هذا القدر الكبير من القوة، والتي قامت بأعمال عظيمة في الحرب، لم يذكرها هيرودوت ولا ثوسيديديس ولا أي من معاصريهما بعد؛ وكان متأخرًا جدًا، وبصعوبة كبيرة، أن أصبح الرومان معروفين لليونانيين. بل إن أولئك الذين اعتُبروا أكثر

المؤرخين دقة [ومن بينهم إيفوروس] كانوا يجهلون الغال والإسبان تمامًا، لدرجة أنه ظن أن الإسبان، الذين يسكنون جزءًا كبيرًا من المناطق الغربية من الأرض، ليسوا أكثر من مدينة واحدة. وقد تجرأ هؤلاء المؤرخون أيضًا على وصف عاداتٍ كانوا يتبعونها، ولم يفعلوها أو يقولوها قط؛ وكان سبب جهل هؤلاء الكُتّاب بحقيقة شؤونهم هو عدم وجود أي علاقات تجارية بينهم؛ أما سبب كتابتهم لهذه الأكاذيب فكان حرصهم على التظاهر بمعرفة أمورٍ لم يعرفها الآخرون. فكيف يُستغرب إذًا أن أمتنا لم تكن معروفةً للكثير من اليونانيين، ولم تُتح لهم فرصة ذكرها في كتاباتهم، وهم بعيدون كل البعد عن البحر، ويعيشون حياةً مميزةً لهم؟

13- لنطرح الآن القضية، إذًا، بأننا استخدمنا هذه الحجة بشأن اليونانيين، لإثبات أن أمتهم لم تكن قديمة، لأنه لم يُذكر شيء عنهم في سجلاتنا: ألن يسخروا منا جميعًا، وربما يقدمون نفس الأسباب لصمتنا التي زعمتها الآن، وسيقدمون الدول المجاورة لهم كشهود على قدمهم؟ الآن سأسعى إلى القيام بنفس الشيء؛ لأنني سأحضر المصريين والفينيقيين كشهود رئيسيين، لأنه لا يمكن لأحد أن يشكو من كذب شهادتهم، نظرًا لأنهم معروفون بأنهم كانوا يحملون أكبر قدر من السوء تجاهنا؛ أعني هذا فيما يتعلق بالمصريين عمومًا جميعهم، بينما من المعروف أن الصوريين كانوا أكثر من يحملون نفس السوء تجاهنا: ومع ذلك، أعترف أنني لا أستطيع قول الشيء نفسه عن الكلدانيين، لأن قادتنا وأجدادنا الأوائل ينحدرون منهم؛ وهم يذكروننا نحن اليهود في سجلاتهم، نظرًا للقرابة بيننا. والآن بعد أن أثبت صحة ادعاءاتي فيما يتعلق بالآخرين، سأوضح أن بعض الكتاب اليونانيين قد ذكروا نحن اليهود أيضًا، حتى لا يتظاهر أولئك الذين يحسدوننا حتى بهذا التناقض مع ما قلته عن أمتنا.

14- سأبدأ بكتابات المصريين؛ وليس من كتبوا باللغة المصرية، وهو أمرٌ يستحيل عليّ فعله. أما مانيثو، فكان مصريًا بالولادة، ومع ذلك فقد أتقن

المعرفة اليونانية، وهذا واضحٌ جليًا؛ إذ كتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية، بترجمته، كما يقول هو نفسه، من سجلاتهم المقدسة؛ كما ينتقد هيرودوت بشدة لجهله ورواياته الزائفة عن الشؤون المصرية. يكتب مانيثو عنا في الكتاب الثاني من تاريخه المصري على النحو التالي. سأدوّن كلماته ذاتها، كما لو كنتُ سأحضر الرجل نفسه إلى المحكمة شاهدًا: "كان لنا ملك اسمه تيماوس. وفي عهده، لا أدري كيف، كان الله يبغضنا، فجاء، بطريقة مفاجئة، رجالٌ من أصلٍ وضيع من الأجزاء الشرقية، وكانت لديهم الجرأة الكافية لشنّ حملة على بلادنا، وقهروها بسهولة بالقوة، ولكن دون أن نخاطر بخوض معركة معهم. فلما استولوا على حكامنا، أحرقوا مدننا، وهدموا معابد الآلهة، وعاملوا جميع السكان معاملةً وحشيةً للغاية؛ بل قتلوا بعضهم، واستعبدوا أطفالهم وزوجاتهم. وفي النهاية، نصبوا ملكًا عليهم، اسمه سالاتيس؛ عاش أيضًا في ممفيس، وأجبر المنطقتين العليا والسفلى على دفع الجزية، وترك حامياتٍ في الأماكن الأنسب لهم. كان هدفه الرئيسي تأمين الأجزاء الشرقية، إذ كان يتنبأ مسبقًا بأن الآشوريين، الذين كانوا يتمتعون آنذاك بأكبر سلطة، سيرغبون في الاستيلاء على تلك المملكة وغزوها؛ ولأنه وجد في سايت نوموس، [سيثرويت]، مدينةً مناسبةً جدًا لهذا الغرض، تقع على قناة بوباست، ولكن فيما يتعلق بمفهوم لاهوتي معين كانت تُسمى أفاريس، أعاد بناءها، وعززها بشدة بالأسوار التي بناها حولها، وبحاميةٍ ضخمةٍ قوامها مائتان وأربعون ألف رجلٍ مسلحٍ وضعهم فيها لحمايتها. وكان سالاتيس يأتي إلى هناك في الصيف، من أجل جمع قمحه ودفع أجور جنوده، ومن أجل تدريب رجاله المسلحين، وبالتالي إرهاب الأجانب. عندما حكم هذا الرجل ثلاثة عشر عامًا، حكم بعده آخر، كان اسمه بيون، لمدة أربع وأربعين عامًا؛ وبعده حكم آخر، يُدعى أباتشناس، ستة وثلاثين عامًا وسبعة أشهر؛ وبعده حكم أبوفيس واحدًا وستين عامًا، ثم جانيس خمسين عامًا وشهرًا واحدًا؛ وبعد كل هذا حكم أسيس تسعة وأربعين عامًا وشهرين. وكان هؤلاء الستة

أول حكام بينهم، الذين كانوا طوال الوقت يخوضون حربًا مع المصريين، وكانوا راغبين جدًا في تدميرهم تدريجيًا حتى الجذور. وقد لُقبت هذه الأمة بأكملها بالهكسوس، أي الملوك الرعاة: لأن المقطع الأول من كلمة هيك، وفقًا للهجة المقدسة، يدل على ملك، كما أن سوس راعٍ؛ ولكن هذا وفقًا للهجة العادية؛ ومن هؤلاء مركب من الهكسوس، لكن بعضهم يقول إن هؤلاء القوم كانوا عربًا. وفي نسخة أخرى، قيل إن هذه الكلمة لا تدل على الملوك، بل على العكس، تدل على الرعاة الأسرى، وذلك بسبب حرف الجر هيك؛ لأن هيك، مع الطموح، في اللغة المصرية تدل أيضًا على الرعاة، وهذا صراحةً أيضًا؛ وهذا يبدو لي الرأي الأرجح، والأكثر توافقًا مع التاريخ القديم. [لكن مانيتو يتابع]: "هؤلاء القوم، الذين سبق أن سميناهم ملوكًا، وسميناهم رعاة أيضًا، وذريتهم،" كما يقول، "احتفظوا بملكية مصر خمسمائة وأحد عشر عامًا". بعد ذلك، يقول: "إن ملوك طيبة وسائر أنحاء مصر قاموا بثورة على الرعاة، وأن حربًا شرسة وطويلة دارت بينهم". ويضيف: "أنه في عهد ملك اسمه أليسفراجموثوسيس، أُخضع الرعاة "وطردوهم من أجزاء أخرى من مصر، ولكنهم حبسوا في مكان يحتوي على عشرة آلاف فدان؛ وكان هذا المكان يسمى أواريس". يقول مانيتو، "أن الرعاة بنوا جدارًا حول كل هذا المكان، وكان جدارًا كبيرًا وقويًا، وذلك من أجل الحفاظ على جميع ممتلكاتهم وفرائسهم في مكان قوي، ولكن تيموسي بن أليسفراجموثوسيس حاول الاستيلاء عليهم بالقوة والحصار، مع أربعمائة وثمانين ألف رجل يحيطون بهم، ولكن عندما يئس من الاستيلاء على المكان بهذا الحصار، توصلوا إلى اتفاق معهم، على أن يغادروا مصر، ويذهبوا دون أن يلحق بهم أي أذى، أينما أرادوا؛ وبعد أن تم هذا الاتفاق، ذهبوا مع جميع عائلاتهم وممتلكاتهم، لا يقل عددهم عن مائتين وأربعين ألفًا، وقاموا برحلتهم من مصر، عبر البرية، إلى سوريا؛ ولكن خوفًا من الآشوريين، الذين كانوا يسيطرون آنذاك على آسيا، بنوا مدينة في تلك البلاد التي تُدعى الآن يهودا، وكانت واسعة بما يكفي

لاستيعاب هذا العدد الكبير من الناس، وسمّوها أورشليم. ٩ ويقول مانيتو في كتاب آخر له: "إن هذه الأمة، التي تُدعى رعاة، كانت تُدعى أيضًا أسرى في كتبهم المقدسة". وهذا الوصف صحيح؛ لأن رعي الغنم كان عمل آبائنا في أقدم العصور. ١٠ ولأنهم كانوا يعيشون حياة تائهة في رعي الغنم، فقد سُمّوا رعاة. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يُطلق عليهم المصريون أسرى، إذ أخبر أحد أجدادنا، يوسف، ملك مصر أنه أسير، ثم أرسل في طلب إخوته إلى مصر بإذن الملك. أما بالنسبة لهذه الأمور، فسأبحث عنها بمزيد من التفصيل في موضع آخر. ١١

15- ولكنني سأقدم الآن المصريين كشهود على قدم أمتنا. لذلك سأستدعي هنا مانيتو مرة أخرى، وما كتبه عن ترتيب العصور في هذه الحالة؛ "ولما خرج هذا الشعب أو الرعاة من مصر إلى أورشليم، حكم تثتوسيس ملك مصر الذي طردهم بعد ذلك خمسة وعشرين عامًا وأربعة أشهر، ثم مات؛ وبعده تولى ابنه خبرون المملكة لمدة ثلاثة عشر عامًا؛ وبعده جاء أمنحتبسيس لمدة عشرين عامًا وسبعة أشهر؛ ثم جاءت أخته أمسيس لمدة واحد وعشرين عامًا وتسعة أشهر؛ وبعدها جاء مفريس لمدة اثني عشر عامًا وتسعة أشهر؛ وبعده كان مفراموثوسيس لمدة خمسة وعشرين عامًا وعشرة أشهر؛ وبعده كان تموسيس لمدة تسع سنوات وثمانية أشهر؛ وبعده جاء أمنحتبسيس لمدة ثلاثين عامًا وعشرة أشهر؛ وبعده جاء أوروس لمدة ستة وثلاثين عامًا وخمسة أشهر؛ ثم جاءت ابنته أكنخريس لمدة اثني عشر عامًا وشهرًا واحدًا؛ ثم كان شقيقها راثوتيس لمدة تسع سنوات؛ ثم كان أكينخريس لمدة اثني عشر عامًا وخمسة أشهر؛ ثم جاء أكينخريس آخر لمدة اثني عشر عامًا وثلاثة أشهر؛ وبعده أرمايس، لمدة أربع سنوات وشهر واحد؛ وبعده كان رمسيس، لمدة سنة وأربعة أشهر؛ وبعده جاء أرميسيس ميامون، لمدة ستة وستين عامًا وشهرين؛ وبعده أمنحتبيس، لمدة تسعة عشر عامًا وستة أشهر؛ وبعده جاء سيثوسيس ورمسيس، الذي كان لديه جيش من الفرسان وقوة

بحرية. وقد عيّن هذا الملك أخاه أرمييس نائبًا له على مصر. " [وفي نسخة أخرى كان الأمر على هذا النحو: "بعده جاء سيثوسيس ورمسيس، وهما شقيقان، وكان للأول منهما قوة بحرية، ودمر بطريقة عدائية أولئك الذين قابلوه في البحر؛ ولكن كما قتل رمسيس بعد ذلك بوقت قصير، فقد عين آخر من إخوته نائبًا له على مصر.] كما أعطاه جميع السلطات الأخرى للملك، ولكن مع هذه الأوامر فقط، أنه لا ينبغي أن يرتدي الإكليل، ولا يؤذي الملكة، والدة أطفاله، وأنه لا ينبغي أن يتدخل مع محظيات الملك الأخرى؛ بينما قام بحملة ضد قبرص وفينيقيا، وإلى جانب ذلك ضد الآشوريين والميديين. ثم أخضعهم جميعًا، بعضهم بسلاحه، وبعضهم دون قتال، وبعضهم برعب جيشه العظيم؛ ولأنه كان مغرورًا بالنجاحات العظيمة التي حققها، فقد استمر بجرأة أكبر، وأطاح بالمدن والبلدان التي تقع في الأجزاء الشرقية. ولكن بعد فترة طويلة، فعل أرميس، الذي تُرك في مصر، كل تلك الأشياء ذاتها، عن طريق المعارضة، التي منعه أخوه من القيام بها، دون خوف؛ لأنه استخدم العنف مع الملكة، واستمر في استخدام بقية السراري، دون أن يُبقي على أيٍّ منهن؛ بل، بإقناع أصدقائه، ارتدى تاجه، وتهيأ لمعارضة أخيه. ثم كتب المُوَكَّل على كهنة مصر رسائل إلى سيثوسيس، وأبلغه بكل ما حدث، وكيف تهيأ أخوه لمعارضته؛ فعاد إلى بلوزيوم على الفور، واستعاد مملكته. وسُمِّيت البلاد أيضًا باسمه مصر؛ إذ يقول مانيتو إن سيثوسيس نفسه كان يُدعى إيجيبتوس، كما كان أخوه أرميس يُدعى داناوس.

16- هذا هو سرد مانيتو. ومن الواضح من عدد السنوات التي سجلها والتي تنتمي إلى هذه الفترة، إذا تم تلخيصها معًا، أن هؤلاء الرعاة، كما يُطلق عليهم هنا، والذين لم يكونوا سوى أجدادنا، قد تم إنقاذهم من مصر، وجاءوا من هناك، وسكنوا هذه البلاد، قبل ثلاثمائة وثلاثة وتسعين عامًا من وصول دانوس إلى أرجوس؛ مع أن الأرجويين يعتبرونه أقدم ملوكهم. لذلك، يسمع مانيتو هذه الشهادة لنقطتين من أعظم الأهمية لغرضنا، وتلك من

السجلات المصرية نفسها. أولاً، أننا خرجنا من بلد آخر إلى مصر؛ وأن خلاصنا منها كان قديمًا جدًا في الزمن لدرجة أنه سبق حصار طروادة بحوالي ألف عام؛ "ولكن فيما يتعلق بالأشياء التي أضافها مانيتبو، ليس من السجلات المصرية، ولكن كما يعترف هو نفسه، من بعض القصص ذات الأصل غير المؤكد، فسوف أدحضها فيما بعد بشكل خاص، وسأثبت أنها ليست أفضل من الخرافات المذهلة.

17- سأنتقل الآن من هذه السجلات، وأنتقل إلى تلك التي تخص الفينيقيين، والتي تخص أمتنا، وسأورد منها شواهد على ما قلته. ثم هناك سجلات لدى الصوريين توثق تاريخًا لسنوات طويلة، وهي كتابات عامة، محفوظة بدقة بالغة، وتتضمن سردًا للوقائع التي جرت بينهم، وتلك التي تخص معاملاتهم مع الأمم الأخرى أيضًا، أعني تلك التي تستحق الذكر. سُجِّل فيها أن الملك سليمان قد بنى الهيكل في أورشليم، قبل مئة وثلاثة وأربعين عامًا وثمانية أشهر من بناء الصوريين لقرطاج؛ وفي سجلاتهم تروي بناء هيكلنا؛ لأن حيروم، ملك صور، كان صديقًا لسليمان ملكنا، وقد ورث هذه الصداقة عن أجداده. لذا، طمح إلى المساهمة في فخامة هذا الصرح الذي بناه سليمان، فأهدى إليه مئة وعشرين وزنة من الذهب. وقطع أيضًا أجود أنواع الأخشاب من جبل لبنان، وأرسله إليه لتزيين سقفه. ولم يكتفِ سليمان بتقديم هدايا أخرى كثيرة له، كمكافأة، بل وهب له أيضًا بلدًا في الجليل، يُدعى شابولون. 13 ولكن كان لديهما شغف آخر، وهو ميل فلسفي، عزز الصداقة التي كانت بينهما؛ إذ كانا يتبادلان المشاكل، راغبَيْن في حلها من قبل بعضهما البعض؛ حيث كان سليمان يتفوق على حيروم، إذ كان أحكم منه في جوانب أخرى. ولا تزال العديد من الرسائل المتبادلة بينهما محفوظة لدى الصوريين. والآن، لكي لا يعتمد هذا على كلامي المجرد، سأقدم شاهدًا هو ديوس، الذي يُعتقد أنه كتب التاريخ الفينيقي بدقة. لذلك، يكتب هذا ديوس في كتابه "تاريخ الفينيقيين": "بعد وفاة أبيبالوس، تولى ابنه هيروم

المملكة. رفع هذا الملك ضفاف النهر في الأجزاء الشرقية من المدينة ووسّعها؛ كما ضمّ معبد جوبيتر الأولمبي، الذي كان قائمًا أمامه في جزيرة مستقلة، إلى المدينة، ببناء جسر بينهما، وزيّن ذلك المعبد بتبرعات من الذهب. علاوة على ذلك، صعد إلى لبنان، وأمر بقطع الأخشاب لبناء المعابد. ويقال أيضًا إن سليمان، عندما كان ملكًا على القدس، أرسل مشاكل إلى هيروم لحلها، وطلب منه أن يرسل آخرين ليحلها، وأن يدفع لمن لم يستطع حل المشاكل المعروضة عليه مالًا لمن يحلها. وعندما وافق هيروم على المقترحات، لكنه لم يتمكن من حل المشاكل، اضطر إلى دفع مبلغ كبير من المال، كعقوبة على ذلك. كما يروون أيضًا أن رجلًا يُدعى عبدمون، وهو رجل من صور، حل... "وكانوا يطرحون بعض المشاكل، ويقترحون مشاكل أخرى لم يستطع سليمان حلها، مما اضطره إلى سداد مبلغ كبير من المال إلى هيروم". وقد أكد ديوس هذه الأمور، وهي تؤكد ما قلناه عن نفس المواضيع من قبل.

18- والآن سأضيف ميناندر الأفسسي شاهدًا إضافيًا. كتب هذا ميناندر أعمال الرسل التي كتبها اليونانيون والبرابرة، في عهد كل ملك من ملوك صور، وقد بذل جهدًا كبيرًا لمعرفة تاريخهم من سجلاتهم الخاصة. وعندما كان يكتب عن الملوك الذين حكموا صور، جاء إلى هيروم، وقال: "بعد وفاة أبيبالوس، تولى ابنه هيروم المملكة؛ وعاش ثلاثة وخمسين عامًا، وحكم أربعة وثلاثين عامًا. وأقام ضفة على ما يُسمى المكان العريض، وكرس العمود الذهبي الذي في معبد جوبيتر؛ وذهب أيضًا وقطع أخشابًا من جبل لبنان، وحصل على أخشاب من خشب الأرز لأسقف المعابد. وهدم أيضًا المعابد القديمة، وبنى أخرى جديدة؛ بالإضافة إلى ذلك، كرّس معبدي هرقل وعشتاروت. بنى أولًا معبد هرقل في شهر بيريتوس، ومعبد عشتاروت عندما شن حملته على التيتيانيين الذين رفضوا دفع الجزية له؛ وبعد أن أخضعهم لنفسه، عاد إلى وطنه. وكان في عهد هذا الملك ابن أصغر لعبديمون، الذي

أتقن القضايا التي أوصى سليمان ملك القدس بحلها". الآن، تُحسب الفترة من هذا الملك إلى بناء قرطاج على النحو التالي: "عند وفاة هيروم، استولى ابنه بلعازر على المملكة؛ وعاش ثلاثة وأربعين عامًا، وحكم سبع سنوات. وبعده خلف ابنه عبدسترتوس؛ وعاش تسعة وعشرين عامًا، وحكم تسع سنوات. ثم تآمر عليه أربعة من أبناء مرضعته وقتلوه، وكان أكبرهم قد حكم اثني عشر عامًا. وبعدهم جاء عشتارتوس، ابن دلسترتوس؛ وعاش أربعة وخمسين عامًا، وحكم اثني عشر عامًا. وبعده جاء أخوه آسيريموس؛ وعاش أربعة وخمسين عامًا، وحكم تسع سنوات. قُتل على يد أخوه فيليس، الذي استولى على المملكة ولم يحكم إلا ثمانية أشهر، مع أنه عاش خمسين عامًا. قُتل على يد إيثوبالوس، كاهن عشتارتوس، الذي حكم اثنين وثلاثين عامًا، وعاش ثمانية وستين عامًا. وخلفه ابنه بادزوروس، الذي عاش خمسة وأربعين عامًا، وحكم ست سنوات. وخلفه ابنه ماتجينوس، وعاش اثنين وثلاثين سنة، وحكم تسع سنوات. وخلفه بيجماليون، وعاش ستة وخمسين سنة، وحكم سبعة وأربعين سنة. والآن في السنة السابعة من حكمه، هربت أخته منه، وبنت مدينة قرطاج في ليبيا". وبالتالي فإن الوقت كله من حكم هيروم، حتى بناء قرطاج، يبلغ مجموع مائة وخمسة وخمسين عامًا وثمانية أشهر. ومنذ ذلك الحين تم بناء الهيكل في القدس في السنة الثانية عشرة من حكم هيروم، كان هناك من بناء الهيكل، حتى بناء قرطاج، مائة وثلاثة وأربعين عامًا وثمانية أشهر. لذلك، ما هي المناسبة لادعاء أي شهادات أخرى من التاريخ الفينيقي [نيابة عن أمتنا]، طالما أن ما قلته مؤكد تمامًا بالفعل؟ وللتأكد من أن أسلافنا جاءوا إلى هذه البلاد قبل وقت طويل من بناء الهيكل؛ لأنه لم يكن حتى حصلنا على امتلاك الأرض كلها بالحرب قمنا ببناء هيكلنا. وهذه هي النقطة التي أثبتتها بوضوح من كتاباتنا المقدسة في آثاري.

19- سأروي الآن ما كُتب عنا في تواريخ الكلدانيين، وهي سجلات تتفق تمامًا مع كتبنا في أمورٍ أدقّ. سيشهد بيروسوس على ما أقول: كان كلدانيًا

بالولادة، معروفًا لدى العلماء، لنشره كتب الفلك والفلسفة الكلدانية بين اليونانيين. لذا، فإن بيروسوس هذا، متبعًا أقدم سجلات تلك الأمة، يُقدم لنا تاريخ طوفان المياه الذي حدث آنذاك، وما نتج عنه من هلاك البشرية، ويتفق مع رواية موسى عنه. كما يُقدم لنا روايةً عن تلك السفينة التي حُفظ فيها نوح، أصل جنسنا البشري، عندما حُمل إلى أعلى جبال أرمينيا؛ ثم يُقدم لنا فهرسًا لسلالة نوح، ويضيف سنوات تسلسلها الزمني، وينتهي أخيرًا إلى نابلاصر، ملك بابل والكلدانيين. وعندما كان يروي لنا أعمال هذا الملك، وصف لنا كيف أرسل ابنه نبوخذنصر على مصر، وعلى أرضنا، بجيش عظيم، بعد أن أُبلغ بتمردهم عليه؛ وكيف أخضعهم جميعًا، وأحرق هيكلنا الذي كان في أورشليم؛ بل وأخرج شعبنا من أرضهم تمامًا، ونقلهم إلى بابل؛ عندما خربت مدينتنا خلال فترة سبعين عامًا، حتى أيام كورش ملك فارس. ثم قال: "إن هذا الملك البابلي غزا مصر وسوريا وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية، وفاق في مآثره كل من حكم قبله في بابل وكلدان". وبعد ذلك بقليل، أضاف بيروسوس ما يلي في كتابه "تاريخ العصور القديمة". سأسرد حكايات بيروسوس، وهي كالتالي: "لما سمع نبولاصر، والد نبوخذنصر، أن الحاكم الذي ولاه على مصر، وعلى أجزاء من سلسيريا وفينيقيا، قد ثار عليه، لم يعد يحتمل الأمر؛ فسلم بعضًا من جيشه إلى ابنه نبوخذنصر، الذي كان شابًا آنذاك، وأرسله لمحاربة الثائر. انضم نبوخذنصر إلى المعركة معه، وهزمه، وضم البلاد إلى سلطته مرة أخرى. ثم حدث أن والده نبوخذنصر أصيب بنوبة مرضية في ذلك الوقت، وتوفي في مدينة بابل، بعد أن حكم تسعة وعشرين عامًا. ولكن كما فهم،بعد قليل، وبعد وفاة والده نبولاصر، رتّب أمور مصر وسائر البلاد، وسلّم الأسرى الذين غنمهم من اليهود والفينيقيين والسوريين ومن الأمم التابعة لمصر إلى بعض أصدقائه، ليقودوا ذلك الجزء من القوات التي كانت تحمل دروعًا ثقيلة، مع بقية أمتعته، إلى بابل؛ بينما ذهب مسرعًا، ومعه عدد قليل فقط، عبر الصحراء إلى بابل؛ حيث وجد،

عندما وصل، أن الشؤون العامة قد أُديرت من قِبل الكلدانيين، وأن الشخص الرئيسي بينهم قد احتفظ له بالمملكة. وبناءً على ذلك، حصل الآن على جميع ممتلكات والده بالكامل. ثم جاء، وأمر بوضع الأسرى كمستعمرات في أفضل الأماكن في بابل؛ أما هو، فقد زيّن معبد بيلوس والمعابد الأخرى، بأسلوب أنيق، من الغنائم التي غنمها في هذه الحرب. أعاد بناء المدينة القديمة، وأضاف إليها أخرى من الخارج، وأعاد بناء بابل إلى حدٍّ كبير، بحيث لم يكن في مقدور أيٍّ ممن يحاصرونها بعد ذلك تحويل مجرى النهر لتسهيل دخولها؛ وقد فعل ذلك ببناء ثلاثة أسوار حول المدينة الداخلية، وثلاثة أسوار حولها. بنى بعض هذه الأسوار من الطوب المحروق والزفت، وبعضها من الطوب وحده. وبعد أن حصّن المدينة بالأسوار، بإتقان، وزيّن أبوابها بفخامة، أضاف قصرًا جديدًا إلى القصر الذي سكنه والده، وكان قريبًا منها أيضًا، وكان أبرع في علوه وروعته. ربما يتطلب وصفه سردًا طويلًا. ومع ذلك، فبفضل ضخامته وعظمته، تم الانتهاء منه في خمسة عشر يومًا. في هذا القصر، أقام ممرات عالية جدًا، مدعومة بأعمدة حجرية، وبغرس ما سُمي بجنة جليدية، وأكملها بشتى أنواع الأشجار، جعل المنظر أشبه ببلد جبلي. وقد فعل ذلك لإرضاء ملكته، لأنها نشأت في ميديا، وكانت مولعة بالمناطق الجبلية.

20- هذا ما يرويه بيروسوس عن الملك المذكور، كما يرويه عنه في الكتاب الثالث من تاريخه الكلداني، حيث يشكو من الكُتّاب اليونانيين لافتراضهم، دون أي أساس، أن بابل قد بناها سميراميس، ملكة آشور، وأن ادعاءها الكاذب بأن تلك المباني الرائعة في بابل لا تتعارض بأي حال من الأحوال مع تلك المباني القديمة والمروي عنها، كما لو كانت من صنعها الخاص؛ حيث إن تاريخ الكلدانيين في هذه الأمور لا بد أن يكون الأكثر مصداقية. علاوة على ذلك، نجد تأكيدًا لما يقوله بيروسوس في أرشيفات الفينيقيين، عن هذا الملك نبوخذنصر، بأنه غزا كل سوريا وفينيقيا؛ وفي هذه الحالة يتفق

فيلوستراتوس مع الآخرين في ذلك التاريخ الذي ألفه، حيث يذكر حصار صور؛ كما يفعل ميغاستينس أيضًا في الكتاب الرابع من تاريخه الهندي، حيث يزعم إثبات أن ملك البابليين المذكور كان يفوق هرقل قوةً وعظمة مآثره؛ إذ يقول إنه غزا جزءًا كبيرًا من ليبيا، وغزا أيبيريا أيضًا. أما ما ذكرته سابقًا عن هيكل القدس، من أنه حاربه البابليون وأحرقوه، ثم فُتح مجددًا عندما استولى كورش على مملكة آسيا، فسيتضح الآن مما يضيفه بيروسوس في هذا الصدد. لأنه هكذا يقول في كتابه الثالث: "بعد أن بدأ نبوخذنصر في بناء السور المذكور، مرض وتوفي بعد أن حكم ثلاثة وأربعين عامًا؛ ومن ثم استولى ابنه إيفلميرودخ على المملكة. كان يدير الشؤون العامة بطريقة غير شرعية وغير نقية، ودُبِّرت له مؤامرة من قِبل نيريغليسور، زوج أخته، وقتله بعد أن حكم عامين فقط. وبعد مقتله، خلفه نيريغليسور، الشخص الذي تآمر ضده، في المملكة وحكم أربع سنوات؛ وحصل ابنه لابوروسوأرخود على المملكة، وهو طفل صغير، وحافظ عليها لمدة تسع سنوات؛ ولكن بسبب سوء مزاجه وممارساته السيئة التي أظهرها للعالم، دبرت له مؤامرة من قِبل أصدقائه، وعُذِّب حتى الموت. وبعد وفاته، اجتمع المتآمرون، وبإجماع الجميع وضعوا التاج على رأس نبوندوس، رجل من بابل، و أحد الذين انتموا إلى تلك الثورة. في عهده، كانت أسوار مدينة بابل مبنية بشكل غريب من الطوب المحروق والقار؛ ولكن عندما وصل إلى السنة السابعة عشرة من حكمه، خرج كورش من بلاد فارس بجيش عظيم؛ وبعد أن غزا بالفعل كل ما تبقى من آسيا، جاء على عجل إلى بابل. عندما أدرك نبوندوس أنه قادم لمهاجمته، قابله بقواته، وانضم إلى المعركة معه وهُزم، وهرب مع عدد قليل من قواته معه، وحبس داخل مدينة بورسيبوس. عندها استولى كورش على بابل، وأمر بهدم الأسوار الخارجية للمدينة، لأن المدينة أثبتت أنها مزعجة للغاية بالنسبة له، وكلفته الكثير من المتاعب للاستيلاء عليها. ثم سار بعيدًا إلى بورسيبوس، لمحاصرة نبوندوس؛ ولكن بما أن نابونيدوس لم يتحمل

الحصار، بل أسلم نفسه إليه، فقد استقبله كورش في البداية بلطف، فأعطاه كرمانيا مسكنًا له، ثم أخرجه من بابل. ولذلك، أمضى نابونيدوس بقية حياته في تلك البلاد، وهناك توفي.

21- تتفق هذه الروايات مع الروايات التاريخية الصحيحة في كتبنا؛ إذ ورد فيها أن نبوخذنصر، في السنة الثامنة عشرة من حكمه، هدم هيكلنا، فبقي على هذه الحال من الخراب خمسين عامًا؛ ثم وُضعت أسسه في السنة الثانية من حكم كورش، وأُكمل بناؤه في السنة الثانية من حكم داريوس. سأضيف الآن سجلات الفينيقيين؛ إذ لن يكون من نافلة القول أن أُقدم للقارئ ما يكفي من الأدلة في هذه المناسبة. فيها نجد هذا التعداد لأزمنة ملوكهم المختلفين: "حاصر نبوخذنصر صور ثلاث عشرة سنة في عهد إيثوبال ملكهم، وبعده ملك بعل عشر سنوات، وبعده عُيّن قضاة يحكمون على الشعب: إكنيبال بن باسلاكوس شهرين، وكلبيس بن عبدوس عشرة أشهر، وأبار الكاهن الأعظم ثلاثة أشهر، ومتغونوس وجراستراتوس ابنا عبدموس قاضيين ست سنوات، وبعده ملك بلاتوروس سنة واحدة، وبعد وفاته أرسلوا واستدعوا مربالوس من بابل، الذي حكم أربع سنوات، وبعد وفاته أرسلوا في طلب أخيه حيروم الذي حكم عشرين سنة. وفي عهده أصبح كورش ملكًا على بلاد فارس". وبذلك تكون المدة الإجمالية أربعًا وخمسين سنة بالإضافة إلى ثلاثة أشهر. لأنه في السنة السابعة من حكم نبوخذنصر بدأ بحصار صور، واستولى كورش الفارسي على المملكة في السنة الرابعة عشرة من حكم هيروم. لذا، فإن سجلات الكلدانيين والصوريين تتفق مع كتاباتنا عن هذا الهيكل؛ والشهادات المقدمة هنا شهادة لا تقبل الجدل ولا يمكن دحضها على قدم أمتنا. وأعتقد أن ما قلته قد يكون كافيًا لمن لا يميل إلى الجدل.

22- لكن من المناسب الآن أن نُرضي استفسار من يُشككون في سجلات البرابرة، ولا يظنون إلا باليونانيين، وأن نُبرز العديد من هؤلاء اليونانيين

أنفسهم الذين كانوا على دراية بأمتنا، وأن نُقدم لهم من ذكروننا أحيانًا في كتاباتهم. لذا، عاش فيثاغورس الساموسي في عصور قديمة جدًا، وكان يُعتبر شخصًا يفوق جميع الفلاسفة حكمةً وتقوىً لله. ومن الواضح الآن أنه لم يكن يعرف عقائدنا فحسب، بل كان إلى حد كبير تابعًا ومُعجبًا بها. لا توجد في الواقع أي كتابات تُنسب إليه، ولكن هناك كثيرون ممن كتبوا تاريخه، ومن أشهرهم هيرميبوس، الذي كان شخصًا شديد الفضول في جميع أنواع التاريخ. يقول هيرميبوس هذا، في كتابه الأول عن فيثاغورس: "أكد فيثاغورس، عند وفاة أحد رفاقه، واسمه كاليفون، كروتوني المولد، أن روح هذا الرجل كانت تُحادثه ليلًا ونهارًا، ونصحه ألا يمرّ بموضع سقط فيه حمار؛ وألا يشرب من مياه تُسبب العطش مرة أخرى؛ وأن يمتنع عن جميع أنواع اللوم". ثم يضيف: "لقد فعل وقال هذا مُقتديًا بتعاليم اليهود والتراقيين، التي نقلها إلى فلسفته الخاصة". إذ يُؤكد حقًّا عن فيثاغورس هذا أنه أخذ الكثير من قوانين اليهود إلى فلسفته الخاصة. ولم تكن أمتنا مجهولة قديمًا لدى العديد من المدن اليونانية، بل اعتبرها البعض جديرة بالمحاكاة. وقد صرّح بذلك ثيوفراستوس في كتاباته عن القوانين؛ لأنه يقول إن "شرائع الصوريين تحرم حلف اليمين الأجنبية". ومن بينها يمين أخرى، وخاصةً ما يُسمى بـ"كوربان": وهو يمين لا يوجد إلا بين اليهود، ويُعلن ما يمكن أن يُسمى "أمرًا مُكرسًا لله". ولم يكن هيرودوت الهاليكارناسوس جاهلاً بأمتنا، بل ذكرها بأسلوبه الخاص، حين قال ذلك في الكتاب الثاني عن الكولخيين. كلماته هي هذه: "كان الكولخيون والمصريون والأثيوبيون هم الشعوب الوحيدة التي ختنوا في عوراتهم أصلاً؛ لكن الفينيقيين والسوريين المقيمين في فلسطين يعترفون بأنهم تعلموا ذلك من المصريين. أما السوريون الذين يعيشون على ضفاف نهري ثيرمودون وبارثينيوس، وجيرانهم الماكرونيون، فيقولون إنهم تعلموه مؤخرًا من الكولخيين؛ فهؤلاء هم الشعوب الوحيدة التي ختنوا بين البشر، ويبدو أنهم فعلوا الشيء نفسه مع المصريين. أما

بالنسبة للمصريين والأثيوبيين أنفسهم، فلا أستطيع تحديد أيهما ورث الختان من الآخر." وهذا ما يقوله هيرودوت: أن "السوريين في فلسطين مختونون". لكن لا يوجد في فلسطين من يُختن سوى اليهود؛ ولذلك لا بد أن معرفته بهم هي التي مكنته من التحدث عنهم بهذا القدر. تشيريلوس أيضًا، وهو كاتب وشاعر أقدم، ١٦ يذكر أمتنا، ويخبرنا أنها ساعدت الملك زركسيس في حملته على اليونان. ففي عدّه لجميع تلك الأمم، يُدرج أمتنا أخيرًا بين الباقي، عندما يقول: "في النهاية، مرّ شعبٌ عجيبٌ للنظر؛ لأنهم كانوا يتكلمون اللغة الفينيقية بأفواههم؛ سكنوا جبال سليمان، قرب بحيرة واسعة: كانت رؤوسهم مُغطاة بالسخام؛ وعليهم كدمات مستديرة؛ وكانت رؤوسهم ووجوههم أيضًا كرؤوس خيول كريهة، تصلبت في الدخان". أعتقد، إذن، أنه من الجلي للجميع أن تشيريلوس يقصدنا، لأن جبال سليمان تقع في بلادنا التي نسكنها، وكذلك البحيرة المسماة أسفلتيتيس؛ فهي أوسع وأضخم من أي بحيرة أخرى في سوريا: وهكذا يذكرنا تشيريلوس. ولكن الآن، بما أن أدنى طبقة من اليونانيين، بل وأكثرهم إعجابًا بتحسيناتهم الفلسفية، لم يعرفوا اليهود فحسب، بل أعجبوا بهم أيضًا كلما صادفوا أيًا منهم، فمن السهل على أي شخص أن يعرف. لأن كليرتشوس، عالم أرسطو، والذي لا يقل شأنًا عن أي من المشائين، يقول في كتابه الأول عن النوم: "أرسطو أستاذه روى ما يلي عن يهودي"، ويسجل حديث أرسطو معه. الرواية هي كما دونها: "الآن، بالنسبة لجزء كبير مما قاله هذا اليهودي، سيكون من الطويل جدًا تلاوته؛ ولكن ما يتضمنه من عجب وفلسفة قد لا يكون من الخطأ التحدث عنه. الآن، لأكون واضحًا معك يا هيبروخيدس، سأبدو لك هنا وكأنني أروي عجائب، وما يشبه الأحلام نفسها. عندها أجاب هيبروخيدس بتواضع، وقال: ولهذا السبب بالذات، فإننا جميعًا راغبون بشدة في سماع ما ستقوله. ثم أجاب أرسطو، ولهذا السبب سيكون من الأفضل تقليد قاعدة الخطباء، التي تتطلب منا أولاً تقديم وصف للرجل، وأمته، حتى لا نخالف

توجيهات معلمنا. ثم قال هيبروخيدس، هيا، إذا كان ذلك يرضيك. أجاب أرسطو: "هذا الرجل يهودي المولد، وجاء من سلسيريا؛ هؤلاء اليهود مشتقون من الفلاسفة الهنود؛ يسمونهم الهنود كالامي، والسوريون يهوذا، وأخذوا اسمهم من البلد الذي يسكنونه، والذي يسمى يهودا؛ ولكن بالنسبة لاسم مدينتهم، فهو اسم غريب للغاية، لأنهم يسمونها أورشليم. الآن هذا الرجل، عندما قوبل بحفاوة من قبل عدد كبير، نزل من البلاد العليا إلى الأماكن القريبة من البحر، وأصبح يونانيًا، ليس فقط في لغته، بل في روحه أيضًا؛ لدرجة أنه عندما حدث أن كنا أنفسنا في آسيا في نفس الأماكن التي جاء إليها، تحدث معنا ومع أشخاص فلاسفة آخرين، واختبر مهارتنا في الفلسفة؛ وبما أنه عاش مع العديد من العلماء، فقد نقل إلينا معلومات أكثر مما تلقاه منا. هذا هو وصف أرسطو للأمر، كما نقله إلينا كليرخوس؛ الذي تحدث فيه أرسطو أيضًا بشكل خاص عن قوة هذا اليهودي العظيمة والرائعة في نظامه الغذائي وأسلوب معيشته المعتدل، حيث يمكن لمن يرغب أن يتعلم المزيد عنه من كتاب كليرخوس نفسه؛ لأنني أتجنب ذكر المزيد عما يكفي لغرضي. الآن، قال كليرخوس هذا على سبيل الاستطراد، لأن هدفه الرئيسي كان من طبيعة مختلفة. أما بالنسبة لهيكاتيوس الأبديري، الذي كان فيلسوفًا وشخصًا مفيدًا للغاية وحياة نشطة، فقد عاصر الملك الإسكندر في شبابه، وبعد ذلك كان مع بطليموس، ابن لاغوس؛ لم يكتب عن الشؤون اليهودية بالمناسبة، بل ألف كتابًا كاملاً عن اليهود أنفسهم؛ ومن هذا الكتاب أرغب في استعراض بعض الأمور، التي كنت أتناولها على سبيل المثال لا الحصر. وسأوضح في المقام الأول الوقت الذي عاش هيكاتيوس هذا؛ إذ يذكر المعركة التي دارت بين بطليموس وديمتريوس حول غزة، والتي دارت في السنة الحادية عشرة بعد وفاة الإسكندر، وفي الأولمبياد المئة والسابعة عشرة، كما يذكر كاستور في تاريخه. فعندما وضع هذه الأولمبياد، أضاف قائلاً: "في هذه الأولمبياد، هزم بطليموس، ابن لاغوس، ديمتريوس،

ابن أنتيجونوس، الملقب بوليورسيتيس، في معركة بغزة". والآن، يتفق الجميع على أن الإسكندر مات في الأولمبياد المئة والرابعة عشرة؛ لذا، فمن الواضح أن أمتنا ازدهرت في عصره، وفي عصر الإسكندر. ويقول هيكاتيوس أيضًا لنفس الغرض، ما يلي: "استولى بطليموس على المناطق في سوريا بعد معركة غزة؛ وكثيرون، عندما سمعوا باعتدال بطليموس وإنسانيته،رافقوه إلى مصر، وكانوا على استعداد لمساعدته في شؤونه؛ وكان من بينهم [يقول هيكاتيوس] حزقيا 17، رئيس كهنة اليهود؛ رجل في السادسة والستين من عمره تقريبًا، وكان يتمتع بمكانة عظيمة بين شعبه. كان رجلاً عاقلًا للغاية، وكان بإمكانه التحدث بشكل مؤثر للغاية، وكان ماهرًا جدًا في إدارة الشؤون، إن كان أي رجل آخر كذلك؛ على الرغم من أنه، كما يقول، كان جميع كهنة اليهود يأخذون العشور من منتجات الأرض، ويديرون الشؤون العامة، ولم يكن عددهم يتجاوز ألف وخمسمائة على الأكثر. " يذكر هيكاتيوس حزقيا هذا مرة أخرى، ويقول، إنه "بما أنه كان يتمتع بهذه المكانة العظيمة، وأصبح على دراية بنا، فقد أخذ بعضًا من الذين كانوا معه، وشرح لهم جميع أحوال شعبهم؛ "فإنه سجل جميع مساكنهم وسياساتهم كتابةً". وعلاوة على ذلك، يعلن هيكاتيوس مرة أخرى، "ما هو الاحترام الذي لدينا لقوانيننا، وأننا عازمون على تحمل أي شيء بدلاً من انتهاكها، لأننا نعتقد أنه من الصواب لنا أن نفعل ذلك". ثم يضيف أنه "على الرغم من أنهم يتمتعون بسمعة سيئة بين جيرانهم، وبين كل من يأتون إليهم، وقد عوملوا في كثير من الأحيان بشكل مؤذٍ من قبل ملوك وحكام بلاد فارس، إلا أنه لا يمكن ثنيهم عن التصرف بما يعتقدون أنه الأفضل؛ ولكن عندما جُردوا لهذا السبب، ووقعت عليهم عذابات، وأُحضروا إلى أفظع أنواع الموت، واجهوهم بطريقة غير عادية، أكثر من أي شعب آخر، ولن يتخلوا عن دين أجدادهم ". كما قدم هيكاتيوس أدلة ليست قليلة على إصرارهم الحازم على قوانينهم، عندما تحدث على هذا النحو: "كان الإسكندر ذات مرة في بابل، وكان لديه نية لإعادة بناء معبد

بيلوس الذي سقط في الاضمحلال، ومن أجل ذلك، أمر جميع جنوده بشكل عام بإحضار التراب إلى هناك. لكن اليهود، وهم وحدهم، لم يمتثلوا لهذا الأمر؛ بل لقد عانوا من الضربات والخسائر الفادحة في ما كان لديهم بسبب ذلك، حتى غفر لهم الملك وسمح لهم بالعيش في هدوء". ويضيف قائلاً: "عندما جاء المقدونيون إليهم إلى تلك البلاد، وهدموا المعابد [القديمة] والمذابح، ساعدوهم في هدمها جميعًا 18 ولكن [لعدم مساعدتهم في إعادة بنائها] إما تكبدوا خسائر، أو حصلوا أحيانًا على العفو". ويضيف قائلاً: "هؤلاء الرجال يستحقون الإعجاب لهذا السبب". كما يتحدث عن الكثافة السكانية الهائلة لأمتنا،ويقول إن "الفرس قد سبيوا سابقًا عشرات الآلاف من شعبنا إلى بابل، وأن عشرات الآلاف نُقلوا بعد وفاة الإسكندر إلى مصر وفينيقيا بسبب الفتنة التي اندلعت في سوريا". ويلاحظ الشخص نفسه في تاريخه اتساع البلاد التي نسكنها، وتميزها، فيقول إن "الأرض التي يسكنها اليهود تضم ثلاثة ملايين من الأرورا، 19 وهي عمومًا ذات تربة ممتازة ومثمرة للغاية؛ وليست يهودا أقل مساحة". ويصف الرجل نفسه مدينتنا القدس نفسها بأنها ذات بناء ممتاز، وكبيرة جدًا، ومأهولة منذ أقدم العصور. ويتحدث أيضًا عن كثرة الرجال فيها، وعن بناء هيكلنا، على النحو التالي: "هناك العديد من الأماكن والقرى الحصينة [يقول] في بلاد يهودا؛ ولكن هناك مدينة واحدة قوية، محيطها حوالي خمسين فرسخًا، يسكنها مائة وعشرون ألف رجل، أو نحو ذلك؛ ويسمونها أورشليم. يوجد في وسط المدينة سور من الحجر، طوله خمسمائة قدم، وعرضه مئة ذراع، ذو رواقين؛ يوجد فيه مذبح مربع، ليس مصنوعًا من حجر منحوت، بل مصنوع من حجارة بيضاء مجمعة، يبلغ طول كل جانب عشرين ذراعًا، وارتفاعه عشرة أذرع. بجواره مبنى كبير، يوجد فيه مذبح ومنارة، كلاهما من ذهب، وزنهما وزنتان: عليهما نور لا ينطفئ، لا ليلًا ولا نهارًا. لا يوجد فيه أي تمثال، ولا أي شيء، ولا أي تبرعات؛ لا يوجد شيء على الإطلاق. مزروعة، لا

بستان، ولا شيء من هذا القبيل. يقيم الكهنة فيها ليلًا ونهارًا، يُجرون طقوسًا معينة، ويشربون قطرة نبيذ واحدة أثناء وجودهم في الهيكل. علاوة على ذلك، يشهد بأننا نحن اليهود كنا نرافق الملك الإسكندر، وبعده مع خلفائه. سأضيف ما يقول إنه تعلمه عندما كان هو نفسه مع الجيش نفسه، عن أفعال رجل يهودي. كلماته هي التالية: "بينما كنت ذاهبًا إلى البحر الأحمر، تبعنا رجل اسمه موسولّام؛ كان أحد الفرسان اليهود الذين قادونا؛ كان رجلاً شجاعًا، قوي البنية، ويُعتبر من قبل الجميع أمهر رماة السهام بين اليونانيين والبرابرة. والآن، بينما كان الناس يمرون بأعداد كبيرة على الطريق، رأى عرافٌ ما طائرًا يتنبأ، وطلب منهم جميعًا الوقوف، وسألهم عن سبب بقائهم. عندها أراه العراف الطائر الذي أخذ منه نبوءته، وأخبره أنه إذا بقي الطائر في مكانه، فعليهم جميعًا الوقوف؛ أما إذا نهض وطار، فعليهم التقدم؛ أما إذا طار للخلف، فعليهم التراجع. لم يُجب موسولام، بل سحب قوسه ورماه على الطائر، فأصابه فقتله؛ وإذ كان العراف وبعض الآخرين غاضبين للغاية، ويتوسلون إليه باللعنات، أجابهم هكذا: لماذا أنت مجنونٌ إلى هذا الحدّ الذي جعلك تأخذ هذا الطائر التعيس بين يديك؟ فكيف يُعطينا هذا الطائر أي معلوماتٍ حقيقيةٍ عن مسيرتنا، وهو الذي لم يكن يتنبأ بكيفية إنقاذ نفسه؟ فلو كان قادرًا على معرفة المستقبل مُسبقًا، لما وصل إلى هذا المكان، بل كان ليخشى أن يُطلق عليه موسولام اليهودي النار فيقتله. أما شهادات هيكاتيوس فقد ذكرناها بما فيه الكفاية؛ فمن يرغب في معرفة المزيد عنها، فيمكنه الحصول عليها بسهولة من كتابه نفسه. ومع ذلك، لن أُبالغ في ذكر أغاثارخيدس، الذي ذكرنا نحن اليهود، وإن كان ذلك على سبيل السخرية من بساطتنا، كما يفترض؛ لأنه عندما كان يُناقش شؤون ستراتونيكي، "كيف خرجت من مقدونيا إلى سوريا، وتركت زوجها ديمتريوس، بينما لم يتزوجها سلواس كما توقعت، بل أثار فتنةً في أنطاكية أثناء حشده جيشًا في بابل؛ "وكيف، بعد ذلك، عاد الملك، وعندما استولى على أنطاكية، هربت

إلى سلوقية، وكان في وسعها الإبحار بعيدًا على الفور ومع ذلك امتثلت لحلم نهاها عن القيام بذلك، وهكذا تم القبض عليها وقتلها". عندما قدم أغاثارهيدس هذه القصة، وسخر من ستراتونيس بسبب خرافاتها، أعطى مثالاً مشابهًا لما ورد عنا، وكتب هكذا: "هناك شعب يُدعى اليهود، ويسكن في مدينة أقوى جميع المدن الأخرى، والتي يسميها السكان أورشليم، واعتادوا على الراحة في كل يوم سابع 20 وفي هذه الأوقات لا يستخدمون أسلحتهم، ولا يتدخلون في الزراعة، ولا يهتمون بأي شؤون الحياة، بل يبسطون أيديهم في أماكنهم المقدسة، ويصلون حتى المساء. "وحدث أنه عندما دخل بطليموس بن لاغوس هذه المدينة بجيشه، أن هؤلاء الرجال، بمراعاتهم لهذه العادة المجنونة، بدلاً من حراسة المدينة، سمحوا لبلادهم بأن تخضع لسيد مرير؛ وثبت علناً أن قانونهم أمر بممارسة حمقاء. 21 وقد علم هذا الحادث جميع الرجال الآخرين باستثناء اليهود أن يتجاهلوا مثل هذه الأحلام، وألا يتبعوا الاقتراحات الخاملة التي تُقدم كقانون، عندما يكونون في حيرة من أمرهم بشأن ما يجب عليهم فعله في ظل هذا الغموض في التفكير البشري." الآن يبدو إجراءنا هذا أمرًا سخيفًا لأغاثارهيدس، ولكنه سيبدو لأولئك الذين يعتبرونه بلا تحيز أمرًا عظيمًا، وما يستحق الكثير من الثناء؛ أعني، عندما يفضل بعض الرجال باستمرار مراعاة قوانينهم، ودينهم تجاه الله، على الحفاظ على أنفسهم وبلادهم.

23- الآن، وقد أغفل بعض الكُتّاب ذكر أمتنا، ليس لجهلهم بنا، بل لحسدهم لنا، أو لأسباب أخرى لا مبرر لها، أعتقد أنني أستطيع البرهنة على ذلك بأمثلة محددة؛ فهيرونيموس، كاتب تاريخ خلفاء الإسكندر، عاش مع هيكاتيوس، وكان صديقًا للملك أنتيجونوس، ورئيسًا لسوريا. من الواضح أن هيكاتيوس كتب كتابًا كاملاً عنا، بينما لم يذكرنا هيرونيموس في تاريخه قط، مع أنه نشأ بالقرب من أماكن سكننا. وهكذا تختلف ميول البشر؛ فبينما ظنّ أحدهم أننا نستحق أن نُذكر بعناية، أعمى شغفٌ سيءٌ عقل الآخر تمامًا، فلم

يستطع تمييز الحقيقة. والآن، لا شك أن ما سبق من سجلات للمصريين والكلدانيين والفينيقيين، إلى جانب العديد من الكُتّاب اليونانيين، يكفي لإثبات قدمنا. علاوة على ذلك، بالإضافة إلى المذكورين آنفًا، فقد ذكرنا ثيوفيلس، وثيودوتوس، ومناسياس، وأريستوفانيس، وهيرموجينيس، وإيوحيميروس أيضًا، وكونون، وزوبيريون، وربما كثيرون غيرهم [لأنني لم أعثر على جميع الكتب اليونانية] بشكل واضح. صحيح أن كثيرًا من الرجال المذكورين آنفًا قد أخطأوا خطأً فادحًا في الروايات الحقيقية لأمتنا في العصور الأولى، لأنهم لم يطلعوا على كتبنا المقدسة؛ ومع ذلك فقد قدموا جميعًا شهادتهم على قدمنا، وهو ما أتناوله الآن. ومع ذلك، فإن ديمتريوس فاليريوس، وفيلون الأكبر، مع يوبوليموس، لم يغفلوا كثيرًا عن حقيقة شؤوننا؛ ولذلك ينبغي أن تُغفر لهم أخطاؤهم البسيطة؛ لأنه لم يكن في وسعهم فهم كتاباتنا بدقة بالغة.

24- لا يزال هناك أمر واحد متبقي مما كنت أقترح التحدث عنه في البداية، وهو إثبات أن تلك الافتراءات واللوم التي ألقاها البعض على أمتنا هي أكاذيب، واستخدام شهادات هؤلاء الكتاب أنفسهم ضد أنفسهم؛ وأن هذا التناقض الذاتي قد حدث بشكل عام للعديد من المؤلفين الآخرين بسبب سوء نيتهم تجاه بعض الناس، وأستنتج أنه ليس خفيًا على أولئك الذين قرأوا التاريخ بعناية كافية؛ لأن بعضهم سعى إلى تشويه سمعة بعض الأمم، وبعض من أكثر المدن مجدًا، وألقوا اللوم على أشكال معينة من الحكومة. وهكذا أساء ثيوبومبوس إلى مدينة أثينا، وبوليكراتس من لاكديمون، كما فعل كاتب كتاب تريبوليتيكوس [لأنه ليس ثيوبومبوس، كما يفترض البعض] لمدينة طيبة. كما أساء تيميلس بشدة إلى الأشخاص المذكورين أعلاه وغيرهم أيضًا؛ "وهذا سوء المعاملة الذي يستخدمونه في الغالب عندما يكون لديهم منافسة مع رجال ذوي سمعة عظيمة؛ بعضهم بدافع الحسد والحقد، والبعض الآخر يفترضون أنه من خلال هذا الكلام الأحمق منهم قد يُنظر

إليهم على أنهم يستحقون أن يُذكروا بأنفسهم؛ وفي الواقع فإنهم لا يفشلون بأي حال من الأحوال في تحقيق آمالهم فيما يتعلق بالجزء الأحمق من البشرية، لكن الرجال ذوي الحكم الرصين لا يزالون يدينونهم بالحقد العظيم.

25- كان المصريون أول من عاتبنا؛ ولإرضاء أي أمة، عمد آخرون إلى تحريف الحقيقة، ورفضوا الاعتراف بأن أجدادنا قدموا إلى مصر من بلد آخر، كما كانت الحقيقة، ولم يقدموا رواية صحيحة عن رحيلنا منها. بل إن المصريين انتهزوا مناسبات عديدة لكرهنا وحسدنا: أولًا، لأن أجدادنا كانوا يحكمون بلادهم؟ وعندما تحرروا منهم، وعادوا إلى بلادهم، عاشوا هناك في رخاء. ثانيًا، أدى اختلاف ديننا عن دينهم إلى عداوة شديدة بيننا، بينما تجاوزت عبادتنا الإلهية ما حددته شرائعهم، كما تتجاوز طبيعة الله طبيعة الوحوش؛ إذ يتفقون جميعًا في جميع أنحاء البلاد على اعتبار هذه الحيوانات آلهة، وإن اختلفوا في عبادتهم الخاصة لها. "ومن المؤكد أن هؤلاء الرجال هم من ذوي العقول الباطلة والحمقاء، الذين اعتادوا منذ البداية على أن يكون لديهم مثل هذه الأفكار السيئة عن آلهتهم، ولم يتمكنوا من التفكير في تقليد ذلك الشكل اللائق للعبادة الإلهية الذي استخدمناه، على الرغم من أنهم عندما رأوا مؤسساتنا معتمدة من قبل كثيرين آخرين، لم يتمكنوا إلا من حسدنا لهذا السبب؛ لأن بعضهم قد اندفع إلى تلك الدرجة من الحماقة والدناءة في سلوكهم، بحيث لا يترددون في مناقضة سجلاتهم القديمة، بل حتى مناقضة أنفسهم أيضًا في كتاباتهم، ومع ذلك فقد أعمى شغفهم لدرجة أنهم لم يتمكنوا من تمييز ذلك.

26- والآن سأنتقل إلى أحد كُتّابهم الرئيسيين، الذي استعنتُ به سابقًا كشاهدٍ على قدمنا، أعني مانيتو. 22 وعد بتفسير التاريخ المصري من كتاباتهم المقدسة، وافترض أن "شعبنا قد جاء إلى مصر، عشرات الآلاف، وقهر سكانها"، ثم أقرّ بعد ذلك بأننا "خرجنا من تلك البلاد بعد ذلك، واستقرينا في تلك البلاد التي تُسمى الآن يهودا، وهناك بنينا أورشليم

ومعبدها". وهكذا اتبع سجلاته القديمة، ثم سمح لنفسه، ليبدو وكأنه دوّن الشائعات والتقارير التي انتشرت عن اليهود، وقدم رواياتٍ لا تُصدّق، وكأنه يريد أن يختلط بنا جموع المصريين المصابين بالجذام وغيره من الأمراض، كما يقول، وأنهم حُكم عليهم بالفرار من مصر معًا. لأنه يذكر أمينوفيس، وهو اسم ملك وهمي، مع أنه لم يجرؤ على تحديد عدد سنوات حكمه، وهو ما فعله بدقة مع الملوك الآخرين الذين يذكرهم؛ ثم ينسب بعض القصص الخرافية إلى هذا الملك، وكأنه نسي بطريقة ما كيف روى بالفعل أن رحيل الرعاة إلى أورشليم كان قبل خمسمائة وثمانية عشر عامًا؛ لأن تيثموسيس كان ملكًا عندما رحلوا. الآن، من أيامه، بلغت فترات حكم الملوك المتوسطين، وفقًا لمانيثي، ثلاثمائة وثلاثة وتسعين عامًا، كما يقول هو نفسه، حتى الأخوين سيثوس وهيرميوس؛ أحدهما، سيثوس، كان يُدعى بذلك الاسم الآخر إيجيبتوس، والآخر، هيرميوس، باسم دانوس. ويقول أيضًا أن سيثوس أخرج الآخر من مصر، وحكم تسعة وخمسين عامًا، كما حكم ابنه الأكبر رامبسيس بعده ستة وستين عامًا. وعندما اعترف مانيث بأن أسلافنا قد غادروا مصر منذ سنوات عديدة، قدم ملكه الخيالي أمينوفيس، وقال على النحو التالي: "كان هذا الملك راغبًا في أن يصبح متفرجًا على الآلهة، كما رغب أوروس، أحد أسلافه في تلك المملكة، في نفس الأمر قبله؛"كما نقل رغبته إلى أمينوفيس الذي يحمل اسمه، والذي كان ابن بابيس، والذي بدا وكأنه يشارك في الطبيعة الإلهية، سواء من حيث الحكمة أو معرفة المستقبل". ويضيف مانيث، "كيف أخبره هذا الذي يحمل اسمه أنه قد يرى الآلهة، إذا قام بتطهير البلاد بأكملها من المصابين بالجذام وغيرهم من الناس غير الطاهرين؛ وأن الملك كان مسرورًا بهذا الأمر، وجمع كل من كان به أي عيب في أجسادهم خارج مصر؛ وأن عددهم كان ثمانين ألفًا؛ وأرسلهم إلى تلك المحاجر التي تقع على الجانب الشرقي من النيل، حتى يتمكنوا من العمل فيها، ويمكن فصلهم عن بقية المصريين". ويقول أيضًا، "كان هناك بعض

الكهنة المتعلمين الذين كانوا ملوثين بالجذام؛ لكن أمينوفيس، الرجل الحكيم والنبي، كان لا يزال خائفًا من أن تغضب الآلهة عليه وعلى الملك، إذا بدا أن هناك عنفًا قد عُرض عليهم؛ الذي أضاف أيضًا هذا [من باب حكمته بشأن المستقبل] أن بعض الناس سيأتون لمساعدة هؤلاء الأشرار، وسيغزون مصر، ويستبقونها في ملكهم ثلاثة عشر عامًا؛ ومع ذلك، لم يجرؤ على إخبار الملك بهذه الأمور، بل ترك وراءه كتابةً بكل تلك الأمور، ثم انتحر، مما جعل الملك حزينًا. وبعد ذلك كتب حرفيًا: "بعد أن استمر أولئك الذين أُرسلوا للعمل في المحاجر في تلك الحالة البائسة لفترة طويلة، طُلب من الملك أن يُخصص مدينة أفاريس، التي تُركت آنذاك خرابًا من الرعاة، لتكون سكنًا لهم وحمايتهم؛ وقد استجاب لهم. والآن، كانت هذه المدينة، وفقًا للاهوت القديم، مدينة تيفو. ولكن لما انخرط هؤلاء الرجال في الأمر، ووجدوا المكان مناسبًا للثورة، عيّنوا أنفسهم حاكمًا من كهنة هلوبوليس، واسمه أوسارسيف، وأقسموا على طاعته في كل شيء. ثم وضع لهم هذا القانون أولًا. أن لا يعبدوا آلهة المصريين، ولا يمتنعوا عن أكل أي من تلك الحيوانات المقدسة التي يُقدّرونها تقديرًا عاليًا، بل يقتلوها ويبيدوها جميعًا؛ وأن لا ينضموا إلى أحد سوى أولئك الذين ينتمون إلى هذا التحالف. ولما سنّ قوانين كهذه، وغيرها الكثير مما كان في معظمه مخالفًا لعادات المصريين، أمرهم بأن يستخدموا كل ما لديهم من قوة في بناء أسوار مدينتهم، وأن يستعدوا للحرب مع الملك أمينوفيس، بينما ضمّ هو نفسه إلى صداقته الكهنة الآخرين، ومن دنّسهم، وأرسل سفراء إلى الرعاة الذين طردهم تيفيلموزيس من البلاد إلى المدينة المسماة أورشليم؛ حيث أطلعهم على شؤونه الخاصة، وحالة الآخرين الذين عوملوا بهذه الطريقة المخزية، وطلب منهم أن يأتوا بموافقة تامة لمساعدته في هذه الحرب ضد مصر. وعدهم أيضًا بأنه سيعيدهم أولًا إلى مدينتهم وبلادهم القديمة أفاريس، وسيوفر لهم قوتًا وافرًا، وأنه سيحميهم ويقاتل من أجلهم كلما دعت الحاجة، وسيُضيّق الخناق على البلاد التي تحت سيطرتهم

بسهولة. فرح هؤلاء الرعاة جميعًا بهذه الرسالة، وغادروا جميعًا بسرعة، وكان عددهم مائتي ألف رجل، وفي وقت قصير وصلوا إلى أفاريس. والآن، عندما أُبلغ أمينوفيس ملك مصر بغزوهم، كان في حيرة شديدة، إذ تذكر ما تنبأ به أمينوفيس ابن بابيس له. فجمع أولًا جموع المصريين، وتشاور مع قادتهم، وأرسل إليه في طلب حيواناتهم المقدسة، وخاصة تلك التي تُعبد في معابدهم، وأمر الكهنة بإخفاء تماثيل آلهتهم بعناية فائقة. كما أرسل ابنه سيثوس، الملقب أيضًا رمسيس، من أبيه رمسيس، الذي كان في الخامسة من عمره، إلى صديق له. ثم سار مع بقية المصريين، وكانوا ثلاثمائة ألف من أشدهم شجاعة، ضد العدو الذي واجههم. ومع ذلك، لم ينضم إليهم في المعركة؛ بل ظن أن ذلك سيكون محاربة للآلهة، فعاد ووصل إلى ممفيس، حيث أخذ أبيس والحيوانات المقدسة الأخرى التي أرسل في طلبها، وسار على الفور إلى إثيوبيا. مع جيشه بأكمله وحشد المصريين؛ لأن ملك أثيوبيا كان ملزمًا تجاهه، ولهذا السبب استقبله، وتولى رعاية كل الحشد الذي كان معه، بينما وفرت البلاد كل ما هو ضروري لطعام الرجال. كما خصص أيضًا مدنًا وقرى لهذا المنفى، الذي كان من المفترض أن يكون من بدايته خلال تلك السنوات الثلاثة عشر التي تم تحديدها بشكل قاتل. وعلاوة على ذلك، أقام معسكرًا لجيشه الأثيوبي، كحارس للملك أمينوفيس، على حدود مصر. وكانت هذه هي حالة الأشياء في أثيوبيا. ولكن بالنسبة لشعب أورشليم، عندما نزلوا مع المصريين الملوثين، عاملوا الرجال بطريقة وحشية للغاية، لدرجة أن أولئك الذين رأوا كيف أخضعوا البلاد المذكورة أعلاه، والشر المروع الذي كانوا مذنبين به، اعتبروا ذلك أمرًا مروعًا للغاية؛ لأنهم لم يكتفوا بإحراق المدن والقرى، بل لم يكتفوا حتى ارتكبوا تدنيس المقدسات، ودمروا تماثيل الآلهة، واستخدموها في شيّ الحيوانات المقدسة التي كانت تُعبد، وأجبروا الكهنة والأنبياء على أن يكونوا جلادي وقاتلي تلك الحيوانات، ثم طردوهم عراة خارج البلاد. وقيل أيضًا إن الكاهن الذي رسم نظامهم

السياسي وقوانينهم كان من مواليد هلوبولس، واسمه أوسارسيف، مشتق من أوزيريس، إله هلوبولس؛ ولكن عندما انتقل إلى هؤلاء الناس، غيّر اسمه، وسمي موسى.

27- هذا ما يرويه المصريون عن اليهود، مع تفاصيل أخرى كثيرة أغفلتها حرصًا على الإيجاز. ومع ذلك، يُضيف مانيتو أن "أمنوفيس عاد بعد ذلك من إثيوبيا بجيش عظيم، وكذلك ابنه أحمبسس بجيش آخر، وأنهما اشتركا في معركة مع الرعاة والقوم المفسدين، وهزموهم، وقتلوا منهم عددًا كبيرًا، وطاردوهم حتى حدود سوريا". هذه الروايات وأمثالها كتبها مانيتو. لكنني سأُثبت أنه يُقلّد ويكذب كذبًا، بعد أن أُبيّن ما سأقوله عنه؛ فقد أقرّ مانيتو بأن هذه الأمة لم تكن مصرية في الأصل، بل قدموا من بلد آخر، وخضعوا مصر، ثم خرجوا منها. "ولكن أن هؤلاء المصريين الذين كانوا مصابين بهذا المرض في أجسادهم لم يختلطوا بنا بعد ذلك، وأن موسى الذي أخرج الناس لم يكن من هؤلاء، بل عاش أجيالاً عديدة قبلهم، فسوف أحاول إثبات ذلك من خلال روايات مانيتو نفسها."

28- الآن، ولأول مرة في هذه الأسطورة، يفترض مانيتو شيئًا سخيفًا؛ إذ يقول إن "الملك أمينوفيس رغب في رؤية الآلهة". أي آلهة، أرجوك، رغب في رؤيتها؟ إذا كان يقصد الآلهة التي نصّت قوانينهم على عبادتها، الثور، والماعز، والتمساح، والبابون، فقد رآها بالفعل؛ أما بالنسبة للآلهة السماوية، فكيف استطاع رؤيتها؟ وما الذي دفعه إلى هذه الرغبة؟ بالتأكيد؟ لأن ملكًا آخر سبقه رآها. وقد أُبلغ حينها بنوع الآلهة، وبأي طريقة شوهدت، فلم يحتج إلى أي حيلة جديدة ليتمكن من رؤيتها. ومع ذلك، فإن النبي الذي فكّر الملك في تحقيق مراده كان حكيمًا. إذا كان الأمر كذلك، فكيف لم يعلم أن هذه رغبته مستحيلة؟ لأن الأمر لم ينجح. وأيُّ ذريعةٍ للاعتقاد بأن الآلهة لن تُرى بسبب تشوهات الناس في أجسادهم، أو بسبب الجذام؟ فالآلهة لا تغضب من نقص الأجساد، بل من الممارسات الشريرة؛ أما ثمانين ألفًا من

المصابين بالجذام، ومن هم في حالةٍ مرضيةٍ أيضًا، فكيف يُمكن جمعهم في يومٍ واحد؟ بل كيف لم يمتثل الملك لأمر النبي؟ فقد كان أمره أن يُطرد المشوهون من مصر، بينما أرسلهم الملك للعمل في المحاجر، وكأنه كان بحاجةٍ إلى عمالٍ أكثر منه نيةً لتطهير بلاده. ويقول أيضًا: "انتحر هذا النبي، مُتنبئًا بغضب الآلهة، وبالأحداث التي ستحلُّ بمصر لاحقًا؛ وأنه ترك هذه النبوءة للملك مكتوبةً". علاوةً على ذلك، كيف لم يعلم هذا النبي بموته مُسبقًا في البداية؟ بل كيف لم يُعارض الملك في رغبته في رؤية الآلهة فورًا؟ كيف سيطر عليه هذا الخوف غير المبرر من أحكام لن تحدث في حياته؟ أو ما هو أسوأ ما قد يُعانيه، فسارع خوفًا منه إلى الانتحار؟ لكن دعونا الآن نتناول أسخف الأمور: الملك، مع أنه أُبلغ بهذه الأمور، وذعر من الخوف مما سيأتي، لم يُخرج هؤلاء المشوهين من بلاده حتى في ذلك الوقت، عندما أُنبئ بأنه سيُخلي مصر منهم؛ بل كما يقول مانيتو: "حينئذٍ، بناءً على طلبهم، أعطاهم تلك المدينة ليسكنوها،"التي كانت في السابق تابعة للرعاة، وكانت تسمى أفاريس؛ حيث عندما ذهبوا في حشود،" كما يقول، "اختاروا واحدًا كان في السابق كاهنًا من هيلوبولس؛ وأن هذا الكاهن أمر أولاً ألا يعبدوا الآلهة، ولا يمتنعوا عن تلك الحيوانات التي عبدها المصريون، بل أن يقتلوها ويأكلوها جميعًا، وأن لا يختلطوا بأحد سوى أولئك الذين تآمروا معهم؛ وأنه ربط الحشد بالأيمان للتأكد من الاستمرار في تلك القوانين؛ وأنه عندما بنى جدارًا حول أفاريس، شن حربًا على الملك". ويضيف مانيتو أيضًا أن "هذا الكاهن أرسل إلى القدس لدعوة ذلك الشعب للقدوم لمساعدته، ووعدهم بإعطائهم أفاريس؛ "لأنها كانت ملكًا لأسلاف القادمين من أورشليم، وعندما قدموا، شنوا حربًا على الملك فورًا، واستولوا على كل مصر". ويقول أيضًا إن "المصريين جاءوا بجيش قوامه مائتي ألف رجل، وأن أمينوفيس ملك مصر، لم يعتقد أنه يجب عليه محاربة الآلهة، فهرب على الفور إلى إثيوبيا، وسلم أبيس وبعض حيواناتهم المقدسة الأخرى للكهنة، وأمرهم بالعناية بالحفاظ

عليها". ويقول أيضًا إن "شعب أورشليم هاجم المصريين وفقًا لذلك، وقلب مدنهم، وأحرق معابدهم، وقتل فرسانهم، وباختصار، لم يمتنعوا عن أي نوع من الشر أو البربرية؛ "وأما ذلك الكاهن الذي أسس نظامهم السياسي وقوانينهم،" كما يقول، "فإنه كان من مواليد هلوبوليس، وكان اسمه أوسارسيف، من أوزيريس إله هلوبوليس، لكنه غير اسمه، وأطلق على نفسه اسم موسى". ثم يقول إنه "في السنة الثالثة عشرة بعد ذلك، جاء أمينوفيس، وفقًا للوقت المشؤوم لمدة مصائبه، عليهم من إثيوبيا بجيش عظيم، وانضم إلى المعركة مع الرعاة والناس الملوثين، وتغلب عليهم في المعركة، وقتل عددًا كبيرًا منهم، وطاردهم حتى حدود سوريا".

29- لا يفكر مانيتو في استحالة كذبه؛ فالشعب المجذوم، والجمهور الذي كان معهم، مع أنهم ربما كانوا غاضبين سابقًا على الملك، وعلى من عاملوهم بقسوة، وفقًا لنبوءة النبي؛ إلا أنهم بالتأكيد، عندما خرجوا من المناجم، وحصلوا من الملك على مدينة وبلد، كانوا سيلينون تجاهه. ومع ذلك، لو كانوا يكرهونه بشدة، لكانوا دبروا مؤامرة خاصة ضده، لكنهم ما كانوا ليخوضوا حربًا ضد جميع المصريين؛ أعني هذا بسبب النسب العظيم الذي لا بد أنهم كانوا كثيرين بينهم. بل لو عزموا على قتال الرجال، لما كانت لديهم من الوقاحة ما يكفي لمقاتلة آلهتهم؛ ولا سنوا قوانين تتعارض تمامًا مع قوانين بلادهم، وتلك التي نشأوا فيها. ومع ذلك، فنحن مدينون لمانيتي بأنه لم يُلقِ التهمة الرئيسية في هذه المعصية الشنيعة على القادمين من أورشليم، بل قال إن المصريين أنفسهم كانوا الأكثر إثمًا، وأن كهنتهم هم من دبروا هذه الأمور، وأجبروا الجموع على أداء يمينهم على ذلك. ولكن ما أشد سخافة افتراض أنه لم يُجبر أحد من أقارب هؤلاء الناس أو أصدقائهم على الثورة، أو على تحمل مخاطر الحرب معهم، بينما أُجبر هؤلاء القوم الملوثون على إرسال قواتهم إلى أورشليم، وإحضار مساعديهم من هناك! يا لها من صداقة، أرجوكم، أو ما هي الصلة التي كانت بينهم سابقًا والتي تطلبت هذه

المساعدة؟ على العكس، كان هؤلاء الناس أعداء، ويختلفون عنهم اختلافًا كبيرًا في عاداتهم. يقول، في الواقع، إنهم امتثلوا فورًا، بمجرد مدحهم لهم، لغزو مصر؛ كما لو أنهم لم يكونوا يعرفون جيدًا تلك البلاد التي طُردوا منها بالقوة. لو كان هؤلاء الرجال في فقر أو يعيشون في بؤس، لربما أقدموا على هذه المغامرة الخطيرة؛ ولكن بما أنهم كانوا يسكنون مدينة سعيدة، وبلادًا واسعة، أفضل من مصر نفسها، فكيف حدث لهم، من أجل أعداءهم القدامى، ومن تشوهوا أجسادهم، ومن لم يستطع أحد من أقاربهم تحملهم، أن يخاطروا بكل هذه المخاطرة في مساعدتهم؟ لأنهم لم يتوقعوا أن الملك سيهرب منهم: بل على العكس، يقول هو نفسه: "كان مع ابن أمينوفيس ثلاثمائة ألف رجل، والتقى بهم في بلوزيوم". ومن المؤكد أن من جاءوا لم يكن ليجهلوا هذا؛ لولا توبة الملك وهروبه، كيف لهم أن يتخيلوا ذلك؟ ثم يقول: "إن من جاءوا من القدس، وشنوا هذا الغزو، استولوا على مخازن مصر، وارتكبوا هناك العديد من أبشع الأعمال". ومن ثم يوبخهم، كما لو أنه لم يُدخلهم كأعداء، أو كما لو أنه قد يتهم من دُعوا من مكان آخر بفعل ذلك، بينما كان المصريون الأصليون أنفسهم قد فعلوا الشيء نفسه قبل مجيئهم، وأقسموا على ذلك. إلا أن "أمنوفيس، بعد ذلك بفترة، هاجمهم، وهزمهم في معركة، وقتل أعداءه، وطردهم أمامه إلى سوريا". وكأن مصر كانت سهلة المنال لمن جاء من أي مكان، وكأن الذين غزوها بالحرب، عندما أُبلغوا بأن أمنوفيس حي، لم يُحصنوا الطرق المؤدية إليها من إثيوبيا، مع أن لديهم مزايا عظيمة للقيام بذلك، ولم يُجهزوا قواتهم الأخرى للدفاع عنها! بل إنه تبعهم عبر الصحراء الرملية، وقتلهم حتى سوريا؛ بينما لا يزال عبور جيش لتلك البلاد أمرًا سهلاً، حتى دون قتال.

30- لذا، وفقًا لمانيتون، لم تكن أمتنا من أصل مصري، ولم يختلط بنا أحد من المصريين. إذ يُفترض أن كثيرًا من المصابين بالجذام والحمى ماتوا في المناجم، إذ كانوا هناك لفترة طويلة وفي حالة سيئة للغاية؛ ولا بد أن كثيرين

آخرين ماتوا في المعارك التي دارت بعد ذلك، وأكثر من ذلك في المعركة الأخيرة والفرار بعدها.

31- بقي الآن أن أناقش مانيتو بشأن موسى. يعترف المصريون بأنه كان شخصًا رائعًا وإلهيًا؛ بل إنهم سيدّعون ملكيته لأنفسهم طواعيةً، وإن كان ذلك بأسلوبٍ مُسيءٍ لا يُصدّق، ويدّعون أنه كان من هليوبوليس، وأحد كهنة ذلك المكان، وطُرد منه مع البقية بسبب برصه؛ مع أنه قد ثبت من سجلاتهم أنه عاش قبل خمسمائة وثمانية عشر عامًا، ثم أخرج أجدادنا من مصر إلى البلاد التي نسكنها الآن. أما الآن، فإنه لم يكن عُرضةً لمثل هذه الكارثة في جسده، وهذا واضح مما أخبرنا به هو نفسه؛ فقد نهى المصابين بالجذام عن البقاء في مدينة أو في قرية، بل أمرهم بالسير بمفردهم وثيابهم ممزقة؛ وأعلن أن من يلمسهم أو يعيش معهم تحت سقف واحد يُعتبر نجسًا. بل أكثر من ذلك، إذا شُفي أحدٌ من مرضه واستعاد عافيته، فقد أمره ببعض التطهيرات، والاغتسال بماء الينابيع، وحلق شعره، وأمره بتقديم ذبائح كثيرة ومتنوعة، ثم السماح له أخيرًا بدخول المدينة المقدسة؛ مع أنه كان من المتوقع، على العكس من ذلك، لو كان في نفس الكارثة، أن يعتني بهؤلاء الأشخاص مسبقًا، وأن يعاملهم بلطف، كما لو كان يهتم بمن سيُصابون بنفس المصائب. لم يقتصر الأمر على المصابين بالجذام الذين سنّ هذه القوانين من أجلهم، بل طُبّق أيضًا على من يُصابون بتشوهات في أصغر جزء من أجسادهم، والذين لم يسمح لهم بعدُ بممارسة الكهنوت؛ بل على الرغم من أن أي كاهن مُرسَل قد تُصيبه مثل هذه الكارثة لاحقًا، فقد أمر بحرمانه من شرف ممارسة الكهنوت. كيف يُفترض إذن أن موسى سنّ مثل هذه القوانين ضد نفسه، مُعرّضًا نفسه للوم والضرر، وهو الذي سنّها؟ ولا يُرجّح إطلاقًا وجود فكرة أخرى عن مانيتو، حيث يروي تغيير اسمه، ويقول إنه "كان يُدعى سابقًا أوسارسيف"، وهذا اسم لا يُناسب الآخر بأي حال من الأحوال، بينما اسمه الحقيقي موسى، ويدل على شخص نجا من الماء، لأن

المصريين يُسمّون الماء مويل. لذا، أعتقد أنني أوضحتُ بما فيه الكفاية أن مانيتو، وهو يتبع سجلاته القديمة، لم يُخطئ كثيرًا في صحة التاريخ؛ ولكنه عندما لجأ إلى قصص خرافية، دون وجود مؤلف مُحدّد، إما أنه زوّرها بنفسه، دون أي احتمال، أو صدق بعض الرجال الذين رووا ذلك بدافع سوء نيتهم تجاهنا.

32- والآن بعد أن انتهيت من مانيتو، سأبحث في ما يقوله تشيريمون. لأنه هو أيضًا، عندما تظاهر بكتابة التاريخ المصري، وضع الاسم نفسه لهذا الملك الذي وضعه مانيتو، أمينوفيس، وكذلك لابنه رمسيس، ثم تابع على هذا النحو: "ظهرت الإلهة إيزيس لأمينوفيس في نومه، ولامته على هدم معبدها في الحرب. لكن فريتيفانتس، الكاتب المقدس، قال له إنه إذا أراد تطهير مصر من الرجال الذين يحملون النجاسات، فلن يزعجه بعد الآن مثل هذه الأشباح المرعبة. واختار أمينوفيس بناءً على ذلك مائتين وخمسين ألفًا من المصابين بهذا المرض، وطردهم من البلاد: كان موسى ويوسف كاتبين، وكان يوسف كاتبًا مقدسًا؛ وأن أسماءهم مصرية الأصل؛ وكان اسم موسى تيسيثين، واسم يوسف بيتسيف؛ وأن هذين الاثنين جاءا إلى بيلوسيوم، وصادفا ثلاثمائة وثمانين ألفًا تركهم أمينوفيس هناك، وهو غير راغب في ذلك. "أن هؤلاء الكتبة عقدوا معهم حلف صداقة، وشنوا معهم حملة ضد مصر، وأن أمينوفيس لم يستطع أن يقاوم هجماتهم، فهرب إلى أثيوبيا، وترك زوجته وطفله خلفه، فاختبأ في بعض الكهوف، وأنجب هناك ابناً اسمه ميسيني، وعندما كبر طارد اليهود إلى سوريا، وكان عددهم نحو مائتي ألف، ثم استقبل والده أمينوفيس من أثيوبيا."

33- هذه هي الرواية التي يرويها لنا تشيريمون. أفترض الآن أن ما قلته قد أثبت بوضوح زيف هاتين الروايتين؛ فلو كانت هناك أي حقيقة في الأساس، لما اختلفا في التفاصيل إلى هذا الحد. أما الذين يختلقون الأكاذيب، فإن ما يكتبونه سيقدم لنا بسهولة روايات مختلفة تمامًا، بينما يزيّفون ما يحلو لهم

من عقولهم. يقول مانيتو إن رغبة الملك في رؤية الآلهة كانت سبب طرد الشعب الملوث؛ لكن تشيريمون يتظاهر بأنه حلمه، أرسلته إليه إيزيس، وكان سبب ذلك. يقول مانيتو إن الشخص الذي أنبأ الملك بتطهير مصر هذا هو أمينوفيس؛ لكن هذا الرجل يقول إنه فريتيفانتس. أما بالنسبة لأعداد الجموع التي طُردت، فهما متفقان تمامًا ٢٤، فالأول يقدرهم بثمانين ألفًا، والثاني بحوالي مائتين وخمسين ألفًا! أما مانيتو، فيصف هؤلاء الملوثين بأنهم أُرسلوا أولاً للعمل في المحاجر، ويقول إن مدينة أڤاريس أُعطيت لهم سكناً. كما يروي أنهم لم يدعوا أهل القدس لمساعدتهم إلا بعد أن خاضوا حرباً مع بقية المصريين؛ بينما يقول كِرمون فقط إنهم خرجوا من مصر، وصادفوا ثلاثمائة وثمانين ألف رجل حول الفرما، الذين تركهم أمينوفيس هناك، فغزوا مصر معهم مرة أخرى؛ فهرب أمينوفيس عندها إلى إثيوبيا. لكن كِرمون هذا يرتكب خطأً فادحاً للغاية بعدم إخبارنا من كان هذا الجيش المكون من عشرات الآلاف، أو من أين جاءوا؛ هل كانوا من المصريين الأصليين، أم أنهم قدموا من بلد أجنبي. ولم يُحدد هذا الرجل، الذي زوّر حلماً من إيزيس عن المصابين بالجذام، سبب عدم إدخال الملك لهم إلى مصر. علاوة على ذلك، يذكر تشيريمون أن يوسف طُرد في نفس الوقت مع موسى، الذي مات قبل موسى بأربعة أجيال، أي ما يقرب من مائة وسبعين عامًا. بالإضافة إلى ذلك، كان رمسيس، ابن أمينوفيس، حسب رواية مانيتو، شابًا، وساعد والده في حربه، وغادر البلاد معه في نفس الوقت، وهرب إلى إثيوبيا. لكن تشيريمون يذكر أنه وُلد في كهف معين، بعد وفاة والده، وأنه هزم اليهود في المعركة، ودفعهم إلى سوريا، وكان عددهم حوالي مائتي ألف. يا لطافة الرجل! لأنه لم يخبرنا من هم هؤلاء الثلاثمائة والثمانون ألفًا، ولا كيف هلك الأربعمائة والثلاثون ألفًا؛ هل سقطوا في الحرب، أم انضموا إلى رمسيس. والأغرب من ذلك كله أنه لا يمكن معرفة من هم الذين يدعوهم يهودًا منه، أو على أيٍّ من الفريقين يُطلق هذه التسمية، هل على المائتين والخمسين ألفًا من المصابين

بالجذام، أم على الثلاثمائة والثمانين ألفًا الذين كانوا حول بيلوسيوم. ولكن ربما يُنظر إليّ على أنه أمرٌ سخيفٌ أن أُقدم على دحضٍ أوسع نطاقًا لمثل هؤلاء الكُتّاب بما يكفي لدحض أنفسهم؛ فلو دحضهم آخرون فقط، لكان الأمر أكثر احتمالًا.

34- "سأضيف الآن إلى هذه الروايات عن مانيثو وخيريمون شيئًا ما عن ليسيماخوس، الذي تناول نفس موضوع الكذب مع أولئك الذين سبق ذكرهم، لكنه تجاوزهم كثيرًا في طبيعة تزويراته المذهلة؛ مما يدل بوضوح على أنه دبرها من كراهيته الشديدة لأمتنا. كلماته هي هذه: "كان شعب اليهود مصابًا بالجذام والجرب، وعرضة لأنواع أخرى من الأمراض، في أيام بوكوريس، ملك مصر، فروا إلى المعابد، وحصلوا على طعامهم هناك بالتسول: ولأن الأعداد كانت كبيرة جدًا ممن أصيبوا بهذه الأمراض، فقد نشأت ندرة في مصر. عندئذ أرسل بوكوريس، ملك مصر، بعضًا لاستشارة وحي [جوبيتر] هامون بشأن ندرته. كان جواب الإله هذا، أنه يجب عليه تطهير معابده من الرجال النجسين وغير الأتقياء، بطردهم من تلك المعابد إلى أماكن صحراوية؛ أما بالنسبة للأشخاص الجرب والجذام، فيجب عليه إغراقهم وتطهير معابده، حيث تشعر الشمس بسخط على السماح لهؤلاء الرجال بالعيش؛ وبهذه الوسيلة ستنتج الأرض ثمارها. بعد أن تلقى بوكوريس هذه النبوءات، دعا كهنتهم، والخدم على مذابحهم، وأمر لهم أن يجمعوا الناس غير الطاهرين، ويسلموهم إلى الجنود، ليحملوهم إلى الصحراء؛ ولكن ليأخذوا الناس المصابين بالجذام، ولفوهم في صفائح من الرصاص، وألقوا بهم في البحر. عندها أُغرق الناس الجرب والمصابون بالجذام، وجُمِع الباقون، وأُرسلوا إلى أماكن صحراوية، لكي يُعرَّضوا للهلاك. في هذه الحالة، اجتمعوا معًا، وتشاوروا فيما يجب أن يفعلوه، وقرروا أنه مع اقتراب الليل، يجب عليهم إشعال النيران والمصابيح، والسهر؛ وأن يصوموا أيضًا في الليلة التالية، ويسترضوا الآلهة، من أجل الحصول على الخلاص منهم. أنه في اليوم

التالي كان هناك موسى، الذي نصحهم بأن يغامروا في رحلة، ويسلكوا طريقًا واحدًا حتى يصلوا إلى أماكن صالحة للسكن: أنه أوصاهم ألا يكونوا ذوي اعتبار طيب لأي إنسان، ولا يقدموا نصيحة جيدة لأحد، بل أن ينصحوهم دائمًا بالأسوأ؛ ولقلب جميع معابد ومذابح الآلهة التي سيصادفونها، فاستحسن الباقون ما قاله بالإجماع، ونفذوا ما عزموا عليه، وساروا عبر الصحراء. وبعد أن تجاوزوا مشقة الرحلة، وصلوا إلى بلد مأهول، وهناك أساؤوا معاملة الناس، ونهبوا معابدهم وأحرقوها؛ ثم وصلوا إلى تلك الأرض التي تُدعى يهودا، وهناك بنوا مدينة وسكنوا فيها، وسُميَّت مدينتهم هيروسيلا، نسبةً إلى نهبهم للمعابد؛ ولكن بعد نجاحهم فيما بعد، غيَّروا اسمها مع مرور الوقت، حتى لا يكون عارًا عليهم، فأطلقوا على المدينة اسم هيروسوليما، وأسموا أنفسهم هيروسوليميتين.

35- الآن هذا الرجل لم يكتشف ويذكر نفس الملك مع الآخرين، لكنه تظاهر باسم جديد، ومر على الحلم والنبي المصري، وأحضره إلى [جوبيتر] هامون، من أجل الحصول على أوراكل عن الجرب والجذام؛ لأنه يقول إن حشد اليهود كانوا مجتمعين في المعابد. الآن ليس من المؤكد ما إذا كان ينسب هذا الاسم إلى هؤلاء المصابين بالجذام، أو إلى أولئك الذين كانوا عرضة لمثل هذه الأمراض بين اليهود فقط؛ لأنه يصفهم بأنهم شعب من اليهود. أي شعب يقصد؟ الأجانب، أم أهل ذلك البلد؟ فلماذا تسميهم يهودًا، إذا كانوا مصريين؟ ولكن إذا كانوا أجانب، فلماذا لا تخبرنا من أين أتوا؟ وكيف يمكن أن يكون، بعد أن أغرق الملك الكثير منهم في البحر، وألقى الباقين في أماكن صحراوية، لا يزال هناك مثل هذا الجمع العظيم المتبقي؟ أو بأي طريقة عبروا الصحراء، وحصلوا على الأرض التي نسكنها الآن، وبنوا مدينتنا، وذلك المعبد الذي اشتهر بين البشر؟ علاوة على ذلك، كان ينبغي عليه أن يتحدث عن مُشرّعنا أكثر من مجرد ذكر اسمه؛ وأن يُخبرنا عن أمته، ومن أي أبوين نشأ؛ وأن يُبيّن الأسباب التي دفعته إلى سنّ مثل هذه القوانين

المتعلقة بالآلهة، وبمسائل الظلم المتعلقة بالبشر خلال تلك الرحلة. فلو كان الناس مصريين بالأصل، لما غيّروا عادات بلادهم فجأةً بهذه السهولة؛ ولو كانوا أجانب، لكان لديهم بالتأكيد بعض القوانين التي حُفظت لديهم منذ زمن طويل. صحيح أنه فيما يتعلق بمن طردوهم، كان بإمكانهم أن يُقسموا على عدم إظهار حسن النية لهم، وربما كان لديهم سبب وجيه لذلك. لكن إذا عزم هؤلاء الرجال على شن حرب لا هوادة فيها على جميع البشر، في حال تصرفوا بمثل هذا الشر الذي يرويه عنهم، وهم في الوقت نفسه بحاجة إلى مساعدة الجميع، فهذا يُظهر نوعًا من الجنون في السلوك؛ ليس من جانب الرجال أنفسهم، بل من جانب من يروي مثل هذه الأكاذيب عنهم. لديه من الوقاحة ما يكفي ليقول إن اسمًا يوحي بـ"لصوص المعابد" قد أُطلق على مدينتهم، ثم تغير هذا الاسم فيما بعد. والسبب واضح، وهو أن الاسم السابق جلب عليهم العار والكراهية في زمن أجيالهم، بينما يبدو أن من بنوا المدينة ظنوا أنهم يُكرمونها بتسميتها بهذا الاسم. وهكذا نرى أن هذا الرجل الطيب كان لديه ميلٌ لا حدود له لتوبيخنا، لدرجة أنه لم يفهم أن سرقة المعابد لا تُعبر عنها بنفس الكلمة والاسم عند اليهود كما عند اليونانيين. ولكن لماذا يُقال أكثر من ذلك لشخص يروي مثل هذه الأكاذيب الوقحة؟ ومع ذلك، بما أن هذا الكتاب قد وصل إلى حجم مناسب، فسوف أبدأ من جديد، وأسعى إلى إضافة ما تبقى لإكمال تصميمي في الكتاب التالي.

أبيون، الكتاب الأول، الحواشي

1

[هذا الكتاب الأول يحمل عنوانًا خاطئًا. فهو ليس مُكتوبًا ضد أبيون، كما هو الحال في الجزء الأول من الكتاب الثاني، بل ضد اليونانيين عمومًا الذين لم يُصدقوا روايات يوسيفوس السابقة عن الحالة القديمة للأمة اليهودية، في كتبه العشرين عن الآثار؛ وخاصةً ضد أغاثاريلديس، ومانيثو، وخيريمون، وليسيماخوس. إنه من أرقى الكتب وأكثرها فائدةً في العصور القديمة؛ وعند اطلاع جيروم على هذا الكتاب والكتاب الذي يليه، يُعلن أنه يبدو له أمرٌ مُعجز "كيف يُمكن لشخصٍ عبراني، تلقى تعليمًا مقدسًا منذ طفولته، أن يُقدم هذا العدد من الشهادات من مؤلفين غير مقدسين، كما لو أنه قرأ جميع المكتبات اليونانية"، رسالة 8. إلى ماغنوم؛ وقد قدّر اليهودي المتعلم منسى بن إسرائيل هذين الكتابين تقديرًا ممتازًا لدرجة أنه ترجمهما إلى العبرية؛ وهذا ما تعلمناه من كتالوجه الخاص لأعماله، والذي رأيته. أما بالنسبة للوقت والمكان الذي كُتب فيه هذان الكتابان، فلم يتمكن العلماء حتى الآن من تحديدهما أكثر من أنهما كُتبا بعد فترة من آثاره، أو بعد عام 93 ميلاديًا؛ وهو أمر واضح جدًا عند مدخلهما بحيث لا يمكن تجاهله حتى من قبل القارئ المهمل، حيث يُقصد بهما بشكل مباشر أولئك الذين لن يصدقوا ما قدمه في تلك الكتب حول عظماء الأمة اليهودية. أما بالنسبة للمكان، فإنهم جميعًا يتخيلون أن هذين الكتابين قد كُتبا حيث كان الأول، أعني في روما؛ وأعترف بأنني كنتُ أؤمن بكلا الرأيين، حتى انتهيتُ من ملاحظاتي على هذه الكتب،

حين وجدتُ دلائل واضحة على أنها لم تُكتب في روما، بل في يهودا، وذلك بعد الثالث من تراجان، أي عام ١٠٠ ميلادي.]

٢

[خذ ملاحظة الدكتور هدسون هنا، والتي تُناقض الرأي السائد بأن يوسيفوس إما مات في عهد دوميتيان، أو على الأقل لم يكتب شيئًا بعد أيامه، كما أنها تتفق تمامًا مع رأيي الشخصي، من يوستوس الطبري، بأنه كتب أو أنهى حياته بعد الثالث من تراجان، أي عام ١٠٠ ميلادي. وهو ما يُوافق عليه نولديوس أيضًا، من هيرودس، رقم ٣٨٣ [إبافروديتوس]. "بما أن فلوريوس يوسيفوس،" كما يقول الدكتور هدسون، "كتب [أو أنهى] كتبه عن الآثار في الثالث عشر من دوميتيان، [93 م]، وبعد ذلك كتب مذكرات حياته، كملحق لكتب الآثار، وأخيرًا كتابيه ضد أبيون، ومع ذلك أهدى كل تلك الكتابات إلى إبفروديتوس؛ فمن الصعب أن يكون إبفروديتوس الذي كان سابقًا سكرتيرًا لنيرون، والذي قُتل في الرابع عشر [أو الخامس عشر] من دوميتيان، بعد أن كان في المنفى لفترة طويلة؛ بل إبفروديتوس آخر، رجل مُعتق، ووكيل تراجان، كما يقول غروتيوس في لوقا 1: 3."]

٣

[إن حفظ قصائد هوميروس بالذاكرة، لا بتدوينها، وأنها سُميت رابسوديات، كما غناها، مثل القصائد الغنائية، مُجزأة، وليست مُؤلفة ومُجمعة في أعمال كاملة، هي آراء معروفة جيدًا من المفسرين القدماء؛ مع أن هذا الافتراض يبدو لي، وكذلك لفابيريوس بيبليوث. جريس. ١. ص ٢٦٩، ولغيرهم، مستبعدًا للغاية. كما أن يوسيفوس لا يقول إنه لم تكن هناك كتابات أقدم بين اليونانيين من قصائد هوميروس، بل إنهم لم يُقرّوا تمامًا بأي كتابات أقدم تدّعي مثل هذه القدم، وهو أمر مُبتذل.]

٤

[يجدر التنويه إلى أن يوسيفوس يذكر هنا كيف نظر جميع المؤرخين اليونانيين التاليين إلى هيرودوت كمؤلف رائع؛ والآن، في القسم ١٤، كيف أن مانيتو، الكاتب الأكثر أصالة في تاريخ مصر، يشكو بشدة من أخطائه في الشؤون المصرية؛ كما أن سترابو، ب. الحادي عشر، ص. 507، وهو الجغرافي والمؤرخ الأكثر دقة، قد أشاد به إلى هذا الحد؛ وأن زينوفون، المؤرخ الأكثر دقة في شؤون كورش، يلمح إلى أن رواية هيرودوت عن ذلك الرجل العظيم رومانسية تمامًا تقريبًا. انظر الملاحظات على Antiq. B. XI. الفصل 2، القسم 1، ومقدمة هتشينسون لطبعته من زينوفون، التي رأيناها بالفعل في الملاحظة على Antiq. B. VIII. الفصل 10، القسم 3، كيف كان هيرودوت يعرف القليل جدًا عن الشؤون اليهودية والبلاد، وأنه أثر بشكل كبير على ما نسميه العجيب، كما قرر السيد رولين مؤخرًا وبحق؛ ومن ثم لا ينبغي لنا دائمًا الاعتماد على سلطة هيرودوت، حيث لا تدعمها أدلة أخرى، ولكن يجب مقارنة الأدلة الأخرى بأدلته، وإذا كانت راجحة، فيجب تقديمها على دليله. لا أقصد بهذا أن هيرودوت روى عمدًا ما اعتقد أنه كذب، [كما يبدو أن كتياس فعل]، بل إنه غالبًا ما كان يبحث عن أدلة، وأحيانًا كان يفضل ما هو عجيب على ما هو أصحّ إثباتًا.]

5

[حول أيام كورش ودانيال.]

6

[من الجدير هنا أن نلاحظ أسباب عدم قراءة العديد من النقاد المتعلمين لمؤلفين قدماء مثل هيرودوت ويوسيفوس وغيرهما قراءةً كافية؛ أي أن هدفهم الرئيسي لم يكن التسلسل الزمني أو التاريخ، بل فقه اللغة، لمعرفة الكلمات لا الأشياء، فهم لا يتعمقون كثيرًا في مضمون مؤلفيهم الحقيقي، ويحكمون على من هم أدقّ مكتشفي الحقيقة، والأكثر اعتماداً عليهم في

مختلف التواريخ، بل يبحثون عن من كتب بأسلوبٍ أرق، وأرق في تعبيراته؛ وهي أمورٌ لا أهمية لها مقارنةً بالآخرين. "وهكذا ستجد أحيانًا نقاشات كبيرة بين العلماء حول ما إذا كان هيرودوت أم ثوسيديدس أفضل مؤرخ في الطرق الأيونية والأتيكية في الكتابة؛ وهو ما لا يدل إلا على القليل فيما يتعلق بالقيمة الحقيقية لكل من تاريخيهما؛ في حين أنه سيكون من الأكثر أهمية أن نعلم القارئ أنه بما أن تاريخ هيرودوت، الذي يبدأ في وقت أبكر بكثير، ويمتد إلى نطاق أوسع بكثير من تاريخ ثوسيديدس، فهو أعظم بكثير؛ فإن الجزء الأكبر من تاريخ ثوسيديدس، الذي ينتمي إلى عصره الخاص، ويقع تحت ملاحظته الخاصة، هو الأكثر يقينًا."

٧

[عن دقة اليهود قبل زمن مخلصنا وفيه، في الحفاظ على أنسابهم بعناية منذ البداية، وخاصة أنساب الكهنة، انظر كتاب يوسيفوس "حياة"، القسم ١. ويبدو أن هذه الدقة قد انتهت بتدمير القدس على يد تيطس، أو على يد أدريان.]

٨

[ما هي هذه الأسفار المقدسة الاثنين والعشرون من العهد القديم؟ انظر ملحق "مقالة العهد القديم"، ص ٢٥-٢٩، أي تلك التي نسميها قانونية، جميعها باستثناء نشيد الأنشاد؛ ولكن مع استثناء إضافي، وهو أن يُدرج سفر عزرا المنحول ضمن هذه القائمة بدلاً من سفر عزرا القانوني، الذي يبدو أنه ليس سوى نسخة لاحقة منه؛ والذي يبدو أن يوسيفوس لم يطلع عليه قط، وهو كتابان من نشيد الأنشاد وعزرا.]

9

[لدينا هنا رواية عن أول بناء لمدينة القدس، بحسب مانيتو، عندما طُرد الرعاة الفينيقيون من مصر قبل حوالي سبعة وثلاثين عامًا من خروج إبراهيم من هارش.]

10

[سفر التكوين 46: 32، 34؛ 47: 3، 4.]

11

[في نسخنا من سفر التكوين وسفر يوسف، لم يُسمِّ يوسف نفسه "أسيرًا" قط عندما كان مع ملك مصر، مع أنه يُسمِّي نفسه "عبدًا" أو "عبدًا" أو "أسيرًا"، وذلك مرات عديدة في عهد الآباء الاثني عشر، تحت قيادة يوسف. ١، ١١، ١٣-١٦.]

١٢

[عن هذا التسلسل الزمني المصري لمانيتون، كما أخطأ يوسيفوس، وعن هؤلاء الرعاة الفينيقيين، كما افترض هو وآخرون من بعده خطأً أنهم كانوا بني إسرائيل في مصر، انظر مقال في العهد القديم، الملحق، ص ١٨٢-١٨٨. ولاحظ هنا أنه عندما يخبرنا يوسيفوس أن اليونانيين أو الأرغوسيين اعتبروا دانوس هذا "أقدم" أو "أقدم" ملك من ملوك أرغوس، فإنه لا يعني بالضرورة، بالمعنى الدقيق للكلمة، أنه لم يكن لديهم ملكٌ أقدم منه؛ فمن المؤكد أنهم حكموا تسعة ملوك قبله، وعلى رأسهم إناخوس. انظر السجلات الموثوقة، الجزء الثاني، ص ٩٨٣، كما يعلم يوسيفوس يقينًا. بل إنهم اعتبروه قديمًا جدًا، وأنهم عرفوا أنهم أُطلق عليهم أولًا اسم "داناي" نسبةً إلى هذا الملك القديم جدًا دانوس. ولا تعني هذه الدرجة الفائقة دائمًا "أقدم" الأسماء بلا استثناء، بل تُترجم أحيانًا إلى "قديم جدًا" فقط، كما هو الحال في درجات التفضيل المماثلة لكلمات أخرى أيضًا.]

13

[السجلات الموثوقة، الجزء الثاني، ص 983، كما يعلم يوسيفوس جيدًا؛ بل إنهم اعتبروه قديمًا جدًا، وأنهم عرفوا أنهم أُطلق عليهم أولًا اسم "داناي" نسبةً إلى هذا الملك القديم جدًا دانوس. ولا تعني هذه الدرجة الفائقة دائمًا

"أقدم" الأسماء بلا استثناء، بل تُترجم أحيانًا إلى "قديم جدًا" فقط، كما هو الحال في درجات التفضيل المماثلة لكلمات أخرى أيضًا.]

١٤

[هذا العدد الذي ذكره يوسيفوس، بأن نبوخذنصر هدم الهيكل في السنة الثامنة عشرة من حكمه، خطأ في دقة التسلسل الزمني؛ إذ كان ذلك في السنة التاسعة عشرة. والعدد الحقيقي هنا لسنة داريوس، التي اكتمل فيها بناء الهيكل الثاني، سواء كانت الثانية بنسخنا الحالية، أو السادسة بنسخ سينسيلوس، أو العاشرة بنسخ يوسابيوس، غير مؤكد إلى حد كبير؛ لذلك من الأفضل أن نتبع رواية يوسيفوس نفسه في مكان آخر، Antiq.؛ B. XI. ch. 4. sect. 3، التي توضح لنا أنه وفقًا لنسخته من العهد القديم، بعد السنة الثانية من كورش، توقف هذا العمل حتى السنة الثانية من داريوس، حيث اكتمل في السنة التاسعة من داريوس بعد سبع سنوات.]

١٥

[هذا أمر معروف جيدًا لدى العلماء، أننا لسنا متأكدين من وجود أي كتابات أصلية لفيثاغورس؛ تلك الأبيات الذهبية، التي تُعدّ خير ما تبقى منه، يُفترض عمومًا أنها لم تُكتب من قِبله، بل من قِبل بعض علمائه فقط، بما يتفق مع ما يؤكده يوسيفوس هنا عنه.]

16

[لا يُجمع العلماء على أن هذه الأبيات التي كتبها شيريلوس، الشاعر الوثني، في أيام زركسيس، تنتمي إلى قبيلة سوليمي في بيسيدية، التي كانت تقع بالقرب من بحيرة صغيرة، أو إلى اليهود الذين سكنوا جبال سوليميان أو جبال القدس، بالقرب من بحيرة أسفلتيتيس الواسعة والكبيرة، والذين كانوا شعبًا غريبًا، ويتحدثون اللغة الفينيقية. ومن المؤكد حتى الآن أن يوسيفوس هنا، ويوسابيوس، في كتابه "الإعداد"، المجلد التاسع، ص 412، اعتبروهم يهودًا؛ وأنا أعترف أنني أميل بشدة إلى الرأي نفسه. لم يكن بقية السليميين

شعبًا غريبًا، بل وثنيين وثنيين، مثل بقية أفراد جيش زركسيس. وأن يكون هؤلاء قد تكلموا باللغة الفينيقية أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً، كما فعل اليهود بالتأكيد؛ ولا يوجد أدنى دليل على ذلك في أي مكان آخر. ولم تكن البحيرة المجاورة لجبال سولفي كبيرة أو واسعة على الإطلاق، مقارنةً ببحيرة أسفلتيتيس اليهودية؛ ولم يكن هؤلاء شعبًا ذا شأن كاليهود، ولا من المرجح أن يرغب زركسيس في ضمهم إلى جيشه كاليهود، الذين كان دائمًا يُحبهم بشدة. أما بالنسبة لبقية وصف تشيريلوس، بأن "رؤوسهم كانت مُغطاة بالسخام؛ وأن على رؤوسهم كدمات مستديرة؛ وأن رؤوسهم ووجوههم كانت كرؤوس خيول قبيحة، تصلبت في الدخان"، فمن المحتمل أن هذه الصفات الغريبة لم تكن تُناسب سوليمي بيسيدي أكثر مما كانت تُناسب يهود يهودا. والواقع أن هذه اللغة المُوبخة، التي وُجهت لهؤلاء الناس هنا، تُشير لي بقوة إلى أنهم كانوا اليهود المساكين الحقراء، وليس سوليمي بيسيدي الذي ذُكر في هوميروس، الذي وصفه تشيريلوس هنا. ولا ينبغي لنا أن نتوقع أن يكون شيريلوس أو هيكاتيوس، أو أي كاتب وثني آخر استشهد به يوسيفوس ويوسابيوس، قد أخطأ في التاريخ اليهودي. فإذا وجدنا، بمقارنة شهاداتهم بالسجلات الأكثر موثوقية لتلك الأمة، أنها تؤكد ذلك بشكل أساسي، كما نفعل دائمًا تقريبًا، فعلينا أن نقتنع، ولا نتوقع أن تكون لديهم معرفة دقيقة بجميع ظروف الشؤون اليهودية، وهو أمر كان من المستحيل عليهم في أغلب الأحيان معرفته. انظر القسم ٢٣.]

١٧

[هذا حزقيا، الذي يُدعى هنا رئيس كهنة، لم يُذكر اسمه في فهرس يوسيفوس؛ بل كان رئيس الكهنة الحقيقي آنذاك هو أونيا، كما يفترض رئيس الأساقفة آشر. مع ذلك، كثيرًا ما يستخدم يوسيفوس كلمة "رؤساء كهنة" بصيغة الجمع، أي أنهم كانوا يعيشون في آن واحد. انظر الملاحظة على Antiq. B. XX. الفصل ٨. القسم. ٨.]

١٨
[لذا قرأت النص مع هافركامب، مع أن المكان صعب.]
١٩
[هذا العدد من الأرورا أو الأفدنة المصرية، وهو ٣ ملايين فدان، كل منها يحتوي على مربع مساحته ١٠٠ ذراع مصري، [أي حوالي ثلاثة أرباع فدان إنجليزي، ومساحة فناء المسكن اليهودي ضعف مساحة فناء المسكن اليهودي]، كما هو الحال في بلاد يهودا، سيكون حوالي ثلث إجمالي عدد الأرورا في أرض يهودا بأكملها، بافتراض أن طولها ١٦٠ ميلًا مُقاسًا وعرضها ٧٠ ميلًا كهذا؛ وهذا التقدير، بالنسبة للأجزاء المثمرة منها، كما هو الحال ربما هنا في هيكاتيوس، ليس بعيدًا جدًا عن الحقيقة. الخمسون فرلنغًا في محيط مدينة القدس حاليًا ليست بعيدة جدًا عن الحقيقة أيضًا، كما وصفها يوسيفوس نفسه، الذي، في كتابه "عن الحرب"، ب. ف.، الفصل الرابع، القسم. ٣. يجعل سورها ثلاثة وثلاثين فرلنغًا، بالإضافة إلى الضواحي والحدائق؛ بل يقول، في كتاب "ب. ف. الفصل ١٢، القسم ٢"، إن سور تيتوس المحيط بها على مسافة قصيرة، بعد تدمير الحدائق والضواحي، لم يكن أقل من تسعة وثلاثين فرلنغًا. ولعلّ عدد سكانها الدائمين في أيام هيكاتيوس كان أكبر بكثير من هؤلاء المائة وعشرين ألفًا، لأنه كان من المفترض دائمًا أن يُترك مكان لأعداد أكبر بكثير كانت تأتي في الأعياد الثلاثة الكبرى؛ ناهيك عن الزيادة المحتملة في عددهم بين أيام هيكاتيوس ويوسيفوس، والتي كانت لا تقل عن ثلاثمائة عام. لكن انظر وصفًا أكثر دقة لبعض هذه القياسات في كتابي "وصف المعابد اليهودية". ومع ذلك، لا ينبغي لنا أن نتوقع من وثنيين مثل تشيريلوس أو هيكاتيوس، أو غيرهم ممن استشهد بهم يوسيفوس ويوسابيوس، أن يتجنبوا الوقوع في أخطاء كثيرة في التاريخ اليهودي، مع أنهم يؤكدون بقوة التاريخ نفسه في المجمل، ويمثلون

شهادات قيّمة على الروايات الأكثر موثوقية التي لدينا في الكتب المقدسة ويوسيفوس عنها.]

20

[هذه شهادة مجيدة على حفظ اليهود للسبت. انظر: Antiq. B. XVI. ch. 2 .sect. 4، و ch. 6. sect. 2؛ The Life، sect. 54؛ and War، B. IV. ch9. sect .. ١٢.]

٢١

[ليس شريعتهم، بل التفسير الخرافي لقادتهم الذي لم يوافق عليه المكابيون ولا مخلصنا المبارك قط.]

٢٢

[عند قراءة هذا الكتاب والأجزاء المتبقية منه، وبعض أجزاء من الكتاب التالي، قد يُدرك المرء بسهولة أن مؤلفنا، يوسيفوس، الهادئ والصريح عادةً، قد استاء بشدة من الافتراءات الوقحة التي وجهها مانيث، وغيره من أعداء اليهود اللدودين، الذين اضطر للتعامل معهم الآن، مما أدى إلى انفعال وغضب شديدين أكثر من المعتاد، ونتيجة لذلك، لم يعد يستمع إلى المنطق بإنصافه وحياده المعتادين؛ يبدو أنه يبتعد أحيانًا عن إيجاز وإخلاص المؤرخ الأمين، وهو ما يُميز شخصيته العظيمة، ويميل إلى الإسهاب والإطالة التي يتميز بها المُدافع والمُجادل: وعليه، أعترف أنني دائمًا ما أقرأ هذه الأجزاء بمتعة أقل من بقية كتاباته، مع أنني أعتقد تمامًا أن الانتقادات المُوجهة لليهود، والتي يسعى هنا إلى دحضها وكشفها، كانت بلا أساس وغير معقولة على الإطلاق.]

23

[هذه شهادة قيّمة جدًا من مانيتو، بأن قوانين أوسارسيف، أو موسى، لم تُسن وفقًا لعادات المصريين، بل على عكسها. انظر الملاحظة على Antiq. B. III. الفصل 8. القسم 9.]

24

[على سبيل السخرية، على ما أعتقد.]

25

[هنا نرى أن يوسيفوس قدّر الجيل بين يوسف وموسى بحوالي اثنين وأربعين أو ثلاثة وأربعين عامًا؛ وهو ما يتوافق تمامًا، إذا ما أُخذ بين الأبناء الأوائل، مع مدة حياة الإنسان في تلك العصور. انظر أنثيت. ريك. الجزء الثاني. الصفحات 966، 1019، 1020.]

26

[هذا هو معنى كلمة هيروسيلا في اليونانية، وليس في العبرية.]

الكتاب الثاني

1- في الكتاب السابق، يا أبفروديتس الموقر، برهنت على قدمنا، وأكدت صحة ما قلته، من كتابات الفينيقيين والكلدانيين والمصريين. علاوة على ذلك، قدمت العديد من الكُتّاب اليونانيين كشهود على ذلك. كما دحضت مانيتو وخيريمون، وبعض أعدائنا الآخرين. لذا، سأبدأ الآن بدحض المؤلفين المتبقين الذين كتبوا ضدنا؛ مع أنني أعترف أنني كنت أشك في أبيون النحوي، هل عليّ أن أتكبد عناء دحضه أم لا؛ لأن بعض كتاباته تتضمن نفس الاتهامات التي وجهها الآخرون إلينا، وبعض ما أضاف إليه باردٌ وحقيرٌ للغاية، ومعظم ما يقوله سيءٌ للغاية، وللتعبير عن الحقيقة فقط، يُظهر أنه شخصٌ جاهلٌ للغاية، وما يجمعه يبدو وكأنه عمل رجلٍ ذي أخلاقٍ سيئةٍ للغاية، وليس أفضل في حياته كلها من مُشعوذ. ومع ذلك، ولأن هناك الكثير من الرجال في غاية الحمق، لدرجة أنهم يقعون في فخ هذه الخطب بدلاً من ما يُكتب بعناية، ويتلذذون بتوبيخ الآخرين، ولا يطيقون سماع مديحهم، فقد رأيتُ أنه من الضروري ألا يُترك هذا الرجل الذي كتب مثل هذا الاتهام ضدنا دون استجواب، كما لو كان سيُجبرنا على الرد في محكمةٍ علنية. فقد لاحظتُ أيضًا أن كثيرًا من الناس يُسرّون كثيرًا عندما يرون رجلًا بدأ بلوم غيره، وهو نفسه يُعرّض نفسه للاحتقار بسبب الرذائل التي ارتكبها. ومع ذلك، ليس من السهل دراسة حديث هذا الرجل، ولا معرفة ما يقصده بوضوح؛ ومع ذلك، يبدو أنه، وسط ارتباك وفوضى كبيرين في أكاذيبه، يُنتج، أولًا، أشياء تُشبه ما درسناه بالفعل، وتتعلق بخروج أجدادنا من مصر؛ وثانيًا، يتهم أولئك اليهود المقيمين في

الإسكندرية؛ وثالثًا، يخلط بين هذه الأشياء اتهامات تتعلق بالتطهيرات المقدسة، والطقوس القانونية الأخرى المستخدمة في الهيكل.

2- "الآن، على الرغم من أنني لا أستطيع إلا أن أعتقد أنني قد برهنت بالفعل، وأكثر بكثير مما كان ضروريًا، على أن آباءنا لم يكونوا مصريين في الأصل، ولم يتم طردهم من هناك، إما بسبب الأمراض الجسدية، أو أي كوارث أخرى من هذا النوع؛ إلا أنني سألاحظ بإيجاز ما أضافته أبيون حول هذا الموضوع؛ لأنه في كتابه الثالث، الذي يتعلق بشؤون مصر، يتحدث على النحو التالي: "لقد سمعت عن رجال مصر القدماء، أن موسى كان من هليوبوليس، وأنه اعتقد أنه ملزم باتباع عادات أجداده، وقدم صلواته في الهواء الطلق، نحو أسوار المدينة؛ لكنه خفضها جميعًا لتوجيهها نحو شروق الشمس، وهو ما كان مقبولًا لموقع هليوبوليس؛ كما أقام أيضًا أعمدة بدلاً من العقربات، 3 كان يُمثل تحتها تجويف يشبه تجويف القارب، والظل الذي سقط من قممها سقط على هذا التجويف، حتى يدور حول نفس المسار كما تدور الشمس نفسها في الآخر." هذه هي تلك الرواية الرائعة التي أوردها لنا هذا النحوي. لكن زيفها واضحٌ جليّ، ولا يحتاج إلى كثير من الكلمات لإثباته، بل هو واضحٌ من أعمال موسى؛ لأنه عندما بنى أول مسكن لله، لم يأمر بنفسه بإقامة مثل هذا النوع من التمثيل فيه، ولا أمر من جاء بعده بإقامة مثل هذا التمثيل. علاوةً على ذلك، عندما بنى سليمان هيكله في القدس في عصرٍ لاحق، تجنب كل الزخارف غير الضرورية التي ابتكرها أبيون هنا. ويضيف أنه "سمع من القدماء أن موسى كان من هليوبوليس". وبالتأكيد، لأنه كان شابًا، فقد صدق من عرفوه وتحدثوا إليه في سنهم. وهذا النحوي، كما كان، لم يستطع تحديد بلد الشاعر هوميروس تحديدًا دقيقًا، كما لم يستطع تحديد بلد فيثاغورس، الذي عاش قبل زمنٍ قريبٍ نسبيًا. ومع ذلك، يُحدد بسهولة عمر موسى، الذي سبقهم بسنواتٍ طويلة، معتمدًا على

رواية رجاله القدماء، مما يُظهر كم كان كذبًا مشهورًا. أما بالنسبة لهذا التحديد الزمني للوقت الذي يقول فيه إنه أخرج المصابين بالجذام والعميان والعرج من مصر، فانظروا إلى أي مدى يتفق هذا النحوي الدقيق مع من كتبوا قبله! يقول مانيتو أن اليهود غادروا مصر في عهد تيثموسيس قبل ثلاثمائة وثلاثة وتسعين عامًا من هروب دانوس إلى أرجوس؛ ويقول ليسيمايوس إن ذلك كان في عهد الملك بوكوريس، أي منذ ألف وسبعمائة عام؛ وقد حدد مولو وبعض الآخرين ذلك كما يشاء الجميع: ولكن أبيون هذا لدينا، باعتباره جديرًا بالتصديق قبلهم، حدد ذلك بالضبط بأنه كان في الأولمبياد السابع، والسنة الأولى من تلك الأولمبياد؛ نفس السنة التي يقول فيها إن الفينيقيين بنوا قرطاج. والسبب في أنه أضاف بناء قرطاج هذا كان بالتأكيد، كما اعتقد، من أجل تعزيز تأكيده بمثل هذه السمة الزمنية الواضحة. لكنه لم يكن يدرك أن هذه السمة تدحض تأكيده؛ لأنه إذا جاز لنا أن نصدق السجلات الفينيقية فيما يتعلق بوقت المجيء الأول لمستعمرتهم إلى قرطاج، فإنها تروي أن ملكهم هيروم كان قبل بناء قرطاج بأكثر من مائة وخمسين عامًا؛ والذي قدمت عنه سابقًا شهادات من تلك السجلات الفينيقية، وكذلك أن هيروم هذا كان صديقًا لسليمان عندما كان يبني هيكل القدس، وقدم له مساعدة كبيرة في بناء ذلك الهيكل؛ بينما بنى سليمان نفسه ذلك الهيكل بعد ستمائة واثني عشر عامًا من خروج اليهود من مصر. أما بالنسبة لعدد أولئك الذين طُردوا من مصر، فقد خطط ليكون نفس العدد مع ليسيمايوس، ويقول إنهم كانوا مائة وعشرة آلاف. ثم يعين مناسبة رائعة ومعقولة لاسم السبت؛ لأنه يقول إنه "بعد أن سافر اليهود مسافة ستة أيام، أصيبوا بدمل في أربيتهم؛ ولهذا السبب استراحوا في اليوم السابع، إذ وصلوا سالمين إلى تلك البلاد التي تُسمى الآن يهودا؛ وأنهم حينئذٍ حافظوا على لغة المصريين، وسموا ذلك اليوم سبتًا، لأن مرض الدبل في أربيتهم

كان يُسمى سبتًا من قِبل المصريين". ألا يسخر المرء الآن من تفاهات هذا الرجل، أو بالأحرى يكره وقاحته في كتابة هذا؟ يبدو أننا نُفترض أن كل هؤلاء المائة وعشرة آلاف رجل مصابون بدمل. ولكن، من المؤكد، لو كان هؤلاء الرجال عميانًا وعرجًا، ومصابين بشتى أنواع الأمراض، كما يقول أبيون، لما استطاعوا قطع مسيرة يوم واحد؛ لكن لو استطاعوا جميعًا عبور صحراء واسعة، بالإضافة إلى قتال وهزيمة من عارضوهم، لما أصيبوا جميعًا بالتهابات في أربية أجسادهم بعد انقضاء اليوم السادس؛ فمثل هذا المرض لا يصيب المسافرين بالضرورة؛ ومع ذلك، فعندما يكون هناك عشرات الآلاف في معسكر واحد، فإنهم يسيرون باستمرار في مساحة ثابتة [في اليوم الواحد]. وليس من المحتمل على الإطلاق أن يحدث هذا الأمر مصادفةً؛ فسيكون افتراض ذلك ضربًا من العبث. ومع ذلك، فقد سبق لكاتبنا الجليل أبيون أن أخبرنا أنهم "وصلوا إلى اليهودية في ستة أيام"، ومرة أخرى، أن "موسى صعد إلى جبل يقع بين مصر وشبه الجزيرة العربية، ويُدعى سيناء، واختبأ هناك أربعين يومًا، وأنه عندما نزل من هناك أعطى اليهود قوانين". ولكن كيف أمكنهم إذًا أن يمكثوا أربعين يومًا في مكانٍ صحراويٍّ بلا ماء، وأن يجوبوا البلاد الواقعة بينه وبين يهودا في ستة أيام؟ أما هذه الترجمة النحوية لكلمة "سبت"، فهي إما دليلٌ على وقاحته الشديدة أو جهله الفادح؛ فكلمتا "سبّو" و"سبّو" مختلفتان اختلافًا كبيرًا؛ فكلمة "سبّو" في اللغة اليهودية تعني الراحة من جميع أنواع العمل؛ أما كلمة "سبّو"، كما يؤكد، فتدلّ عند المصريين على مرض الدبل في الأربية.

3- هذه هي الرواية الجديدة التي يرويها لنا أبيون المصري عن خروج اليهود من مصر، وهي ليست إلا حيلة من صنعه. ولكن لماذا نتعجب من أكاذيبه عن أجدادنا، حين يؤكد أنهم من أصل مصري، حين يكذب أيضًا عن نفسه؟ فمع أنه وُلد في واحة بمصر، إلا أنه يتظاهر، كما قد يقال، بأنه

أسمى المصريين؛ ومع ذلك يُنكِر وطنه الأصلي وأسلافه، وبتظاهره الكاذب بولادته في الإسكندرية، لا يستطيع أن ينكر فساد عائلته؛ لأنكم ترون كيف يُنصف أولئك المصريين الذين يكرههم، ويسعى إلى لومهم؛ فلو لم يكن يعتبر المصريين اسمًا ذا عيب عظيم، لما تجنب اسم مصري هو نفسه؛ كما نعلم أن أولئك الذين يتباهون بأوطانهم يُقدّرون أنفسهم بناءً على الطائفة التي اكتسبوها من خلالها، ويُوبخون من يدّعون ذلك ظلمًا. أما ادعاء المصريين بانتمائهم إلينا، فهم يفعلون ذلك لأحد الأسباب التالية؛ أعني، إما لأنهم يقدرون أنفسهم على هذا الأساس، ويتظاهرون بأنهم يحملون هذه الصلة بنا؛ أو لأنهم يريدون جرنا لنكون شركاء في عارهم. لكن يبدو أن هذا الرجل الطيب أبيون يطرح هذه التسمية المذمّة علينا، [أننا كنا في الأصل مصريين] ليُنزلها على الإسكندريين، مكافأةً على امتياز أن يكون مواطنًا معهم: وهو أيضًا على دراية بسوء نية الإسكندريين تجاه أولئك اليهود الذين هم مواطنوهم، ولذلك يقترح على نفسه أن يوبخهم، مع أنه يجب أن يشمل بذلك جميع المصريين الآخرين أيضًا؛ وهو في كلتا الحالتين ليس سوى كذاب وقح.

4- لكن لننظر الآن في تلك الجرائم الجسيمة والشنيعة التي يتهم بها أبيون يهود الإسكندرية. "جاءوا [كما يقول] من سوريا، وسكنوا قرب البحر الهائج، وكانوا في جوار الأمواج المتلاطمة". الآن، إذا كان مكان السكن يشمل أي شيء يُلام عليه، فإن هذا الرجل لا يلوم بلده الحقيقي [مصر]، بل ما يدعي أنه بلده، الإسكندرية؛ فالجميع متفقون على أن الجزء من تلك المدينة القريب من البحر هو أفضل جزء للسكن. الآن، إذا كان اليهود قد استولى على ذلك الجزء من المدينة بالقوة، واحتفظوا به حتى الآن دون مساءلة، فهذه علامة على شجاعتهم؛ ولكن في الواقع، كان الإسكندر نفسه هو من منحهم ذلك المكان لسكنهم، عندما حصلوا هناك على امتيازات مساوية للمقدونيين. ولا أظن أنني سأقول ما كان

أبيون ليقوله لو كان مسكنهم في مدينة الموتى؟ ولم يكن قد ثبته القصر الملكي [كما هو]؛ ولم تُمنح أمتهم لقب المقدونيين حتى يومنا هذا [كما هو الحال لديهم]. لو قرأ هذا الرجل الآن رسائل الملك الإسكندر، أو رسائل بطليموس بن لاغوس، أو التقى بكتابات الملوك اللاحقين، أو ذلك العمود الذي لا يزال قائمًا في الإسكندرية، والذي يحتوي على الامتيازات التي منحها يوليوس قيصر العظيم لليهود؛ لو كان هذا الرجل، كما أقول، على علم بهذه السجلات، ومع ذلك لديه الوقاحة للكتابة بما يتناقض معها، فقد أظهر نفسه أنه رجل شرير؛ ولكن إذا لم يكن يعرف شيئًا عن هذه السجلات، فقد أظهر نفسه أنه رجل جاهل للغاية: بل عندما يبدو أنه يتساءل كيف يمكن تسمية اليهود بالإسكندريين، فهذه مثال آخر على جهله؛ لأن كل ما يُطلق عليه اسم المستعمرات، على الرغم من أنهم بعيدون جدًا عن بعضهم البعض في الأصل، يتلقون أسماءهم من أولئك الذين يجلبونهم إلى مساكنهم الجديدة. وما الداعي للحديث عن غيرهم، ونحن اليهود الساكنين في أنطاكية نُسمَّى أنطاكيين لأن سلوقس، مؤسس تلك المدينة، منحهم الامتيازات التي تخصّها؟ وبالمثل، يتمتع اليهود الساكنون في أفسس، وسائر مدن أيونيا، بنفس اسم من وُلدوا فيها أصلاً، بمنح الأمراء اللاحقين؛بل إن لطف الرومان وإنسانيتهم كانت عظيمة لدرجة أنها منحت الإذن لجميع الآخرين تقريبًا بأن يأخذوا نفس اسم الرومان عليهم؛ لا أقصد رجالًا معينين فقط، بل أممًا بأكملها وكبيرة أيضًا؛ لأن أولئك الذين كانوا يُدعون قديمًا إيبيريين وتيرانيين وسابيني يُطلق عليهم الآن اسم روماني. وإذا رفض أبيون هذه الطريقة للحصول على امتياز مواطن الإسكندرية، فليمتنع عن تسمية نفسه إسكندرانيًا في المستقبل؛ وإلا فكيف يمكن لمن ولد في قلب مصر أن يكون إسكندرانيًا، إذا كانت هذه الطريقة في قبول مثل هذا الامتياز، الذي يريد حرماننا منه، قد ألغيت مرة واحدة؟ على الرغم من أن هؤلاء الرومان، الذين هم الآن

سادة الأرض الصالحة للسكن، قد منعوا المصريين من الحصول على امتيازات أي مدينة على الإطلاق؛ بينما هذا الرجل اللطيف، الذي يرغب في المشاركة في مثل هذا الامتياز الذي يُحظر عليه استخدامه، يسعى بالافتراءات إلى حرمان أولئك الذين نالوه بجدارة. فلم يُوفِّق الإسكندر بعضًا من أمتنا إلى الإسكندرية، لأنه كان بحاجة إلى سكان لمدينته التي بذل في بنائها كل هذا الجهد؛ بل مُنح هذا لشعبنا مكافأةً له، لأنه بعد اختبار دقيق، وجدهم جميعًا رجالًا ذوي فضل وإخلاص له؛ فكما يقول هيكاتيوس عنا: "أكرم الإسكندر أمتنا لدرجة أنه، لما أظهره اليهود من عدل وإخلاص، سمح لهم بتحرير بلاد السامرة من الجزية. وكان بطليموس بن لاغوس على نفس الرأي تجاه اليهود الذين سكنوا الإسكندرية". فقد استودعهم حصون مصر، معتقدًا أنهم سيحافظون عليها بأمانة وشجاعة من أجله؛ ولما رغب في ضمان حكم قورينا وسائر مدن ليبيا لنفسه، أرسل جماعة من اليهود ليستقروا فيها. "وأما خليفته بطليموس، الذي كان يُدعى فيلادلفوس، فلم يحرر جميع أسرى أمتنا فحسب، بل كان يُعطيهم أموالاً في كثير من الأحيان [لفديتهم]؛ وكان أعظم أعماله على الإطلاق هو رغبته الشديدة في معرفة قوانيننا، والحصول على كتبنا المقدسة؛ وبناءً على ذلك، رغب في إرسال هؤلاء الرجال الذين قد يفسرون له قانوننا؛ ولكي يتم تجميعها جيدًا، لم يعهد بهذه الرعاية إلى أشخاص عاديين، بل رسم أن ديمتريوس فاليريوس، وأندرياس، وأريستياس؛ الأول، ديمتريوس، أكثر الناس علماً في عصره، والآخرين، مثل الذين عُهد إليهم بحراسة جسده؛ يجب أن يهتموا بهذا الأمر: ولا شك أنه لم يكن ليكون راغبًا في تعلم قانوننا، وفلسفة أمتنا، لو كان يحتقر الرجال الذين استخدموه، أو لو لم يكن معجبًا بهم حقًا.

5- كان أبيون هذا يجهل كل ملوك المقدونيين تقريبًا الذين يدعي أنهم أسلافه، والذين كانوا مع ذلك متأثرين جدًا بنا؛ لأن ثالث هؤلاء البطالمة،

المدعو يورغيتس، عندما استولى على كل سوريا بالقوة، لم يقدم قرابين الشكر للآلهة المصرية على انتصاره، بل جاء إلى القدس، ووفقًا لقوانيننا الخاصة، قدم العديد من التضحيات لله، وأهدى له الهدايا المناسبة لمثل هذا النصر: وأما بطليموس فيلومتر وزوجته كليوباترا، فقد سلما مملكتهما بأكملها لليهود، عندما كان أونياس ودوسيثيوس، وكلاهما يهوديان، يسخر أبيون من اسميهما، قائدي جيشهم بأكمله. ولكن بالتأكيد، بدلاً من لومهم، كان ينبغي له أن يُعجب بأفعالهم، وأن يرد لهم الشكر على إنقاذ الإسكندرية، التي يدعي أنه مواطنها؛ فعندما كان هؤلاء الإسكندرانيون يخوضون حربًا مع الملكة كليوباترا، وكانوا على وشك الهلاك، أقنعهم هؤلاء اليهود بعقد اتفاق، وحرروهم من مآسي الحرب الأهلية. "ولكن [يقول أبيون] جلب أونياس جيشًا صغيرًا إلى المدينة لاحقًا في الوقت الذي كان ثورونس السفير الروماني حاضرًا هناك." أجل، أجرؤ على القول، وأنه كان مُحقًا وعادلًا جدًا في فعل ذلك؛ لأن بطليموس الملقب بفيسكو، بعد وفاة أخيه فيلومتر، جاء من قورينا، وكان سيطرد كليوباترا وأبنائها من مملكتهم، ليحصل عليها لنفسه ظلمًا. 5 ولهذا السبب إذن شن أونياس حربًا عليه بسبب كليوباترا؛ ولم يتخلى عن تلك الثقة التي وضعتها العائلة المالكة فيه في محنتهم. وبناءً على ذلك، أعطى الله شهادة رائعة على صوابه. "فعندما تجرأ بطليموس فيسكو على محاربة جيش أونياس، وقبض على جميع اليهود الذين كانوا في المدينة [الإسكندرية]، مع أطفالهم وزوجاتهم، وعرضهم عراة ومقيدين إلى أفياله، حتى يدوسوا ويهلكون، وعندما جعل تلك الأفيال تسكر لهذا الغرض، ثبت أن الحدث يتعارض مع استعداداته؛ لأن هذه الأفيال تركت اليهود الذين تعرضوا لها، وهاجمت بعنف أصدقاء فيسكو، وقتلت عددًا كبيرًا منهم؛ بل بعد ذلك رأى بطليموس شبحًا رهيبًا،الذي منعه من إيذاء هؤلاء الرجال؛ حتى أن سريته التي أحبها كثيرًا [يسميها البعض إيثاكا،

والبعض الآخر إيرين] توسلت إليه ألا يرتكب مثل هذا الشر العظيم. فامتثل لطلبها، وتاب عما فعله بالفعل، أو كان على وشك فعله؛ ومن ثم فإنه من المعروف أن يهود الإسكندرية يحتفلون بهذا اليوم لسبب وجيه، لأنهم قد نالوا فيه خلاصًا واضحًا من الله. ومع ذلك، فإن أبيون، المفتري الشائع على الرجال، لديه الجرأة لاتهام اليهود بشن هذه الحرب ضد فيسكو، في حين كان ينبغي أن يثني عليهم على نفس الشيء. يذكر هذا الرجل أيضًا كليوباترا، آخر ملكات الإسكندرية، ويسيء إلينا، لأنها كانت جاحدة لنا؛ "في حين أنه كان ينبغي أن يوبخها، التي انغمست في كل أنواع الظلم والممارسات الشريرة، سواء فيما يتعلق بأقرب أقاربها وأزواجها الذين أحبوها، وفي الواقع، بشكل عام فيما يتعلق بجميع الرومان، وأولئك الأباطرة الذين كانوا محسنين لها؛ والتي قتلت أيضًا أختها أرسينوي في معبد، عندما لم تسبب لها أي ضرر: وعلاوة على ذلك، قتلت شقيقها بخيانتها الخاصة، ودمرت آلهة بلادها ومقابر أسلافها؛ وبينما كانت قد تلقت مملكتها من القيصر الأول، كانت لديها الوقاحة للتمرد على ابنه: 7 وخليفته؛ بل أفسدت أنطونيوس بحيلها العاطفية، وجعلته عدوًا لبلاده، وجعلته خائنًا لأصدقائه، و[بواسطته] سلب بعض سلطتهم الملكية، وأجبرت آخرين في جنونها على التصرف بشكل شرير. ولكن ما الحاجة إلى توسيع نطاق هذا الموضوع أكثر من ذلك، عندما تركت أنطونيوس في معركته البحرية، على الرغم من أنه كان زوجها وأب أطفالهما المشتركين، وأجبرته على التنازل عن حكومته، مع الجيش، واللحاق بها [إلى مصر]؟ كلا، عندما استولى قيصر أخيرًا على الإسكندرية، وصلت إلى حد القسوة، لدرجة أنها أعلنت أنها لا تزال لديها بعض الأمل في الحفاظ على شؤونها، في حالة تمكنها من قتل اليهود، ولو بيدها؛ إلى هذه الدرجة من البربرية والغدر التي وصلت إليها. وهل يعتقد أحد أننا لا نستطيع أن نفخر بأي شيء، إذا لم توزع هذه الملكة القمح بيننا في وقت المجاعة، كما يقول

أبيون؟ ومع ذلك، فقد واجهت في النهاية العقوبة التي تستحقها. أما بالنسبة لنا اليهود، فإننا نناشد القيصر العظيم ما هي المساعدة التي قدمناها له، وما هي الإخلاص الذي أظهرناه له ضد المصريين؛ وكذلك بالنسبة لمجلس الشيوخ ومراسيمه، ورسائل أغسطس قيصر، التي تُبرر استحقاقنا [للرومان]. كان ينبغي على أبيون أن ينظر في تلك الرسائل، وأن يفحص على وجه الخصوص الشهادات المقدمة نيابةً عنا، في عهد الإسكندر وجميع البطالمة، ومراسيم مجلس الشيوخ وأعظم الأباطرة الرومان. وإذا لم يتمكن جرمانيكوس من توزيع القمح على جميع سكان الإسكندرية، فهذا يُظهر فقط مدى عقم ذلك العصر، ومدى شحّ القمح الذي كان موجودًا آنذاك، ولكنه لا يُضعف من شأن اتهام اليهود؛ لأن ما اعتقده جميع الأباطرة عن يهود الإسكندرية معروف جيدًا، لأن توزيع القمح لم يُغفل بالنسبة لليهود، كما كان الحال بالنسبة لسكان الإسكندرية الآخرين. لكنهم كانوا لا يزالون يرغبون في الحفاظ على ما عهد به الملوك إليهم سابقًا، أعني حراسة النهر؛ ولم يعتبرهم هؤلاء الملوك غير جديرين بالحراسة الكاملة له في جميع المناسبات.

6- لكن إلى جانب ذلك، يعترض أبيون علينا قائلاً: "إذا كان اليهود [كما يقول] من مواطني الإسكندرية، فلماذا لا يعبدون نفس الآلهة التي يعبدونها؟" فأجيب: بما أنكم أنتم مصريون، فلماذا تتقاتلون فيما بينكم، وتخوضون حروبًا ضروسًا بسبب دينكم؟ على هذا النحو، لا يجب أن نسميكم جميعًا مصريين، ولا بشرًا بشكل عام، لأنكم تربون بحرص شديد حيوانات ذات طبيعة مخالفة تمامًا لطبيعة البشر، مع أن طبيعة جميع البشر تبدو واحدة. الآن، إذا كانت هناك مثل هذه الاختلافات في الرأي بينكم أيها المصريون، فلماذا تستغربون من أولئك الذين قدموا إلى الإسكندرية من بلد آخر، وكانت لهم قوانينهم الأصلية الخاصة سابقًا، أن يستمروا في مراعاة تلك القوانين؟ ومع ذلك، فهو يتهمنا بأننا مثيرو الفتنة؛ وهذه

التهمة، إن كانت عادلة، فلماذا لا تُوجه إلينا جميعًا، ونحن معروفون بأننا جميعًا على رأي واحد. علاوة على ذلك، فإن أولئك الذين يبحثون في مثل هذه الأمور سيكتشفون قريبًا أن مثيري الفتنة كانوا مواطنين من الإسكندرية مثل أبيون؛ فبينما كانوا اليونانيين والمقدونيين الذين كانوا يسيطرون على هذه المدينة بشكل سيئ، لم تكن هناك فتنة ضدنا، وسُمح لنا بمراعاة احتفالاتنا القديمة؛ ولكن عندما أصبح عدد المصريين فيها كبيرًا، أصبحت الأوقات مضطربة، ثم اندلعت هذه الفتن أكثر فأكثر، بينما استمر شعبنا غير فاسد. وبالتالي، كان هؤلاء المصريون هم مؤلفو هذه المشاكل، الذين لم يكن لديهم ثبات المقدونيين، ولا حكمة اليونانيين، فقد سمحوا لهم جميعًا بسلوكيات المصريين الشريرة، واستمروا في كراهيتهم القديمة ضدنا؛ لأن ما يُتهمنا هنا بوقاحة، يرجع إلى الاختلافات التي بينهم؛ في حين أن العديد منهم لم يحصلوا على امتيازات المواطنة في الأوقات المناسبة، ولكن أولئك الذين من المعروف أنهم حصلوا على هذا الامتياز الممتد إليهم جميعًا لا غير الأجانب: لأنه لا يبدو أن أيًا من الملوك قد منح سابقًا امتيازات المواطنة هذه للمصريين، تمامًا كما فعل الأباطرة مؤخرًا؛ بينما كان الإسكندر هو الذي أدخلنا إلى هذه المدينة في البداية،زاد الملوك من امتيازاتنا فيها، وسعد الرومان بالحفاظ عليها دائمًا دون انتهاك. علاوة على ذلك، فإن أبيون سيضع وصمة عار علينا، لأننا لا نقيم تماثيل لأباطرتنا؛ كما لو أن هؤلاء الأباطرة لم يكونوا على علم بذلك من قبل، أو كانوا بحاجة إلى أبيون كمدافع عنهم؛ في حين أنه كان ينبغي له أن يُعجب بشهامة الرومان وتواضعهم، حيث لا يُجبرون أولئك الذين يخضعون لهم على انتهاك قوانين بلادهم، بل هم على استعداد لتلقي التكريم المستحق لهم بطريقة تتفق مع أولئك الذين سيقدمون لهم التقدير المتوافق مع التقوى وقوانينهم الخاصة؛ لأنهم لا يشكرون الناس على منحهم التكريم، عندما يُجبرون على ذلك بالقوة.

وفقًا لذلك، بما أن اليونانيين وبعض الأمم الأخرى يعتقدون أنه من الصواب صنع الصور، بل عندما يرسمون صور آبائهم وزوجاتهم وأطفالهم، فإنهم يفرحون من الفرح؛ وهناك من يلتقطون لأنفسهم صورًا لأشخاص لا تربطهم بهم أي صلة قرابة على الإطلاق؛ بل يلتقط البعض صورًا لخدم كانوا مولعين بهم؛ فما العجب إذًا إذا بدا هؤلاء على استعداد لتقديم نفس الاحترام لأمرائهم وسادتهم؟ ولكن مشرعنا قد منعنا من صنع الصور، ليس على سبيل التنديد مسبقًا بأن السلطة الرومانية لا ينبغي تكريمها، ولكن باعتبارها ازدراءً لشيء لم يكن ضروريًا ولا مفيدًا لله أو للإنسان؛ ونهى عنهم، كما سنثبت لاحقًا، من صنع هذه الصور لأي جزء من الخلق الحيواني، ناهيك عن الله نفسه، الذي ليس جزءًا من هذا الخلق الحيواني. ومع ذلك، لم يمنعنا مشرعنا في أي مكان من تكريم الرجال المستحقين، شريطة أن يكونوا من نوع آخر، وأقل من أولئك الذين نؤديهم لله؛ وبهذه التكريمات نشهد طواعية باحترامنا لأباطرتنا ولشعب روما؛ كما نقدم تضحيات دائمة لهم؛ ولا نُقدّمها يوميًا على نفقة جميع اليهود فحسب، بل مع أننا لا نُقدّم أي تضحيات أخرى من هذا القبيل من نفقتنا المشتركة، لا من أجل أبنائنا، فإننا نُقدّمها تكريمًا خاصًا للإمبراطور، ولهم وحدهم، دون أن نُقدّمها لأي شخص آخر. ويكفي هذا ردًا عامًا على أبيون فيما يتعلق بيهود الإسكندرية.

7- "ومع ذلك، لا يسعني إلا أن أعجب بأولئك المؤلفين الآخرين الذين زودوا هذا الرجل بمثل هذه المواد؛ أعني بوسيدونيوس وأبولونيوس [ابن] مولو، 8 اللذين، بينما يتهموننا بعدم عبادة نفس الآلهة التي يعبدها الآخرون، فإنهم يعتبرون أنفسهم غير مذنبين بالكفر عندما يكذبون علينا، ويؤلفون قصصًا سخيفة ومُعيبة عن معبدنا؛ في حين أنه من العار للغاية أن يزيف الأحرار الأكاذيب في أي مناسبة، وأكثر من ذلك بكثير أن يزيفوها عن معبدنا، الذي كان مشهورًا جدًا في جميع أنحاء العالم، وحافظنا عليه

مقدسًا؛ لأن أبيون لديه الوقاحة ليتظاهر بأن "اليهود وضعوا رأس حمار في مكانهم المقدس"؛ ويؤكد أن هذا تم اكتشافه عندما نهب أنطيوخس أبيفانس معبدنا، ووجد رأس الحمار مصنوعًا من الذهب، ويساوي قدرًا كبيرًا من المال. على هذا ستكون إجابتي الأولى هي أنه لو كان هناك أي شيء من هذا القبيل بيننا، لما كان ينبغي للمصري بأي حال من الأحوال أن يلقيه في أسناننا، لأن الحمار ليس حيوانًا أكثر احتقارًا من الماعز، وغيرها من المخلوقات المماثلة، والتي من بينها آلهة. ولكن إلى جانب هذه الإجابة، أقول أيضًا، كيف حدث أن أبيون لا يفهم هذا على أنه ليس سوى كذبة ملموسة، وأن يتم دحضه بالشيء نفسه على أنه لا يصدق تمامًا؟ لأننا اليهود نحكم دائمًا بنفس القوانين، التي نثابر عليها باستمرار؛ وعلى الرغم من أن العديد من المصائب قد حلت بمدينتنا، كما حدث مع الآخرين، وعلى الرغم من أن ثيوس [إبيفانيس]، وبومبي الكبير، وليسينيوس كراسوس، وأخيرًا تيتوس قيصر، قد هزمونا في الحرب، واستولوا على معبدنا؛ ومع ذلك لم يجد أي منهم أي شيء من هذا القبيل هناك، ولا أي شيء إلا ما كان مقبولًا لأشد التقوى؛ مع أن ما وجدوه ليس لنا حرية الكشف عنه للأمم الأخرى. أما أنطيوخس [إبيفانس]، فلم يكن لديه سبب وجيه لذلك التخريب الذي أحدثه في معبدنا؛ فقد أتى إليه فقط عندما أراد المال، دون أن يعلن نفسه عدوًا لنا، وهاجمنا بينما كنا شركائه وأصدقائه؛ ولم يجد هناك أي شيء مثير للسخرية. ويشهد على ذلك العديد من الكتاب الجديرين؛ بوليبيوس من ميغالوبوليس، وسترابو من كابادوكيا، ونيكولاس الدمشقي، وتيماجينيس، وكاستور الكرونوتوجر، وأبولودوروس؛ 10 الذين يقولون جميعًا إنه بسبب نقص المال أنطيوخس نقض عهده مع اليهود، ونهب معبدهم عندما كان مليئًا بالذهب والفضة. كان ينبغي لأبيون أن ينظر إلى هذه الحقائق، ما لم يكن لديه قلب حمار أو وقاحة كلب؛ أعني مثل هذا الكلب الذي يعبدونه؛ لأنه

لم يكن لديه سبب خارجي آخر للأكاذيب التي يرويها عنا. أما نحن اليهود، فلا نُعطي الحمير أي شرف أو سلطة، كما يفعل المصريون مع التماسيح والثعابين، عندما يعتبرون من تمسك بهم أو عضهم الآخرون أشخاصًا سعداء وأشخاصًا جديرين بالله. الحمير هي نفسها لدينا كما هي مع الحكماء الآخرين، أي المخلوقات التي تحمل الأعباء التي نضعها عليها؛ ولكن إذا أتت إلى ساحاتنا وأكلت قمحنا، أو لم تفعل ما نفرضه عليها، فإننا نضربها كثيرًا، لأن من عملها خدمتنا في شؤون زراعتنا. لكن أبيون لدينا كان إما غير ماهر تمامًا في تأليف مثل هذه الخطابات المغلوطة، أو مع ذلك، عندما بدأ [بشكل أفضل قليلاً]، لم يكن قادرًا على المثابرة فيما قام به، لأنه لا يملك أي وسيلة للنجاح في تلك اللوم الذي يلقيه علينا.

8- يضيف خرافة يونانية أخرى ليوبخنا. ويكفي ردًا على ذلك أن نقول إن من يتجرأ على الحديث عن العبادة الإلهية لا ينبغي أن يجهل هذه الحقيقة الجلية، وهي أن المرور عبر المعابد أقل نجاسة من اختلاق افتراءات خبيثة عن كهنتها. أما أمثاله، فهم أشد حرصًا على تبرير ملكٍ مُدنِّس من كتابة ما هو حقٌّ وحقيقيٌّ عنا وعن معبدنا؛ لأنهم عندما يرغبون في إرضاء أنطيوخس، وإخفاء الغدر والتدنيس اللذين ارتكبهما بحق أمتنا، عندما كان يطلب المال، فإنهم يسعون إلى تشويه سمعتنا، ويكذبون حتى فيما يتعلق بالمستقبل. "يصبح أبيون نبيًا للرجال الآخرين في هذه المناسبة، ويقول إن "أنطيوخس وجد في معبدنا سريرًا، ورجلًا مستلقيًا عليه، وأمامه طاولة صغيرة مليئة بالأطعمة الشهية من أسماك البحر وطيور الأرض الجافة؛ وأن هذا الرجل اندهش من هذه الأطعمة الشهية التي وضعت أمامه؛ وأنه سجد للملك فور دخوله، على أمل أن يقدم له كل مساعدة ممكنة؛ وأنه سقط على ركبتيه، ومد إليه يده اليمنى، وتوسل أن يطلق سراحه؛ وأنه عندما أمره الملك بالجلوس، وأخبره من هو، ولماذا يقيم هناك، وما معنى تلك الأنواع المختلفة من الطعام التي وضعت أمامه،

قدم الرجل شكوى مؤسفة، ومع تنهدات ودموع في عينيه، أعطاه هذا الوصف للضيق الذي كان فيه؛ وقال إنه كان يونانيًا وأنه بينما كان يجوب هذه المقاطعة، من أجل الحصول على رزقه، تم القبض عليه من قبل الأجانب، فجأة، وأُحضر إلى هذا المعبد، وحبس فيه، ولم يره أحد، لكنه سُمِّن بهذه الأحكام الغريبة التي وُضعت أمامه؛ وأن هذه المزايا غير المتوقعة بدت له في البداية أمرًا يدعو إلى الفرح العظيم؛ وبعد فترة، أثارت لديه الشك، وفي النهاية الدهشة، عما يعنيه ذلك؛ وأنه في النهاية سأل الخدم الذين أتوا إليه وأبلغوه أنه من أجل الوفاء بقانون اليهود، الذي لا يجب أن يخبروه به، كان يُطعم بهذه الطريقة؛ وأنهم كانوا يفعلون الشيء نفسه في وقت محدد كل عام: أنهم اعتادوا على اصطياد أجنبي يوناني، ويسمنونه بهذه الطريقة كل عام، ثم يأخذونه إلى غابة معينة، ويقتلونه، ويذبحونه وفقًا لطقوسهم المعتادة، ويتذوقون أحشائه، ويقسمون على هذا التضحية باليوناني، أنهم سيكونون دائمًا في عداوة مع اليونانيين؛ ثم ألقوا ببقايا ذلك الوغد في حفرة ما." ويضيف أبيون قائلاً: "قال الرجل إنه لم يتبقَّ سوى أيام قليلة قبل أن يُقتل، وتوسل إلى أنطيوخس أن يُحبط الفخاخ التي نصبها اليهود لدمه، من منطلق احترامه للآلهة اليونانية، وأن يُنقذه من الشقاء الذي أحاط به." 11 هذه أسطورة مأساوية للغاية لا تخلو من القسوة والوقاحة؛ ومع ذلك، ألا تُعفي أنطيوخس من محاولته التجديفية، كما يفترض من كتبوها في دفاعه؛ لأنه لم يكن ليفترض مُسبقًا أنه سيُصادف شيئًا من هذا القبيل عند مجيئه إلى الهيكل، بل لا بد أنه وجده فجأة. لذلك كان لا يزال شخصًا كافرًا، مُنغمسًا في الملذات غير المشروعة، ولا يُراعي الله في أفعاله. أما أبيون، فقد فعل كل ما في وسعه "لقد أملى عليه حب الكذب المفرط، وهو أمر يسهل اكتشافه من خلال دراسة كتاباته؛ لأن اختلاف قوانيننا معروف ليس فيما يتعلق باليونانيين فقط، بل إنهم في الأساس مضادون للمصريين، وبعض

الأمم الأخرى أيضًا، فبينما يحدث أن رجالًا من جميع البلدان يأتون أحيانًا ويقيمون بيننا، فكيف يحدث أن نحلف اليمين ونتآمر ضد اليونانيين فقط، وذلك من خلال إراقة دمائهم أيضًا؟أو كيف يمكن أن يجتمع كل اليهود على هذه الذبائح، وأن تكون أحشاء رجل واحد كافية لتذوق آلاف عديدة منها، كما يدعي أبيون؟ أو لماذا لم يحمل الملك هذا الرجل، أياً كان، ومهما كان اسمه، [الذي لم يُدرج في كتاب أبيون]، بفخامة كبيرة إلى بلاده؟ عندما كان من الممكن أن يُنظر إليه على أنه شخص متدين، ومحب كبير لليونانيين، ومن ثم قد يحصل على مساعدة كبيرة من جميع الرجال ضد تلك الكراهية التي يكنها له اليهود. لكنني أترك هذا الأمر؛ لأن الطريقة الصحيحة لدحض الحمقى ليست استخدام الكلمات المجردة، بل الاستئناف إلى الأشياء نفسها التي تصنع ضدهم. الآن، إذن، كل من رأى بناء معبدنا، ما هي طبيعته، يعرف جيدًا أنه لا ينبغي أبدًا تدنيس نقائه؛ لأنه كان له أربع ساحات مختلفة (١٢) محاطة بأروقة، ولكل منها، بموجب قانوننا، درجة خاصة من الانفصال عن الباقي. كان يُسمح للجميع بالدخول إلى الساحة الأولى، حتى الأجانب، ولم يكن يُسمح لأحد سوى النساء، أثناء فترة وجودهن، بالمرور عبرها؛ وكان جميع اليهود يدخلون إلى الساحة الثانية، وكذلك زوجاتهم، عندما يكنّ طاهرات من كل نجاسة؛ وكان الرجال اليهود يدخلون إلى الساحة الثالثة، عندما كانوا طاهرين ومطهرين؛ وكان الكهنة يدخلون إلى الساحة الرابعة، مرتدين ثيابهم الكهنوتية؛ أما بالنسبة لأقدس الأماكن، فلم يكن أحد يدخل سوى رؤساء الكهنة، مرتدين ثيابهم الخاصة. والآن، هناك حرص شديد على هذه المناصب الدينية، لدرجة أنه لا يُعيَّن الكهنة لدخول الهيكل إلا في ساعات محددة؛ ففي الصباح، عند فتح الهيكل الداخلي، يتلقى القائمون على الخدمة الذبائح، كما يفعلون مرة أخرى عند الظهر، حتى تُغلق الأبواب. وأخيرًا، لا يجوز إدخال أي إناء إلى البيت المقدس، ولا يوجد فيه

سوى المذبح [البخور] والمائدة [خبز التقدمة] والمبخرة والمنارة، وهي جميعها مكتوبة في الناموس، إذ لا يوجد شيء آخر فيه، ولا تُقام فيه أسرار لا يجوز الحديث عنها، ولا تُقام فيه ولائم. فما قلته الآن معروف للجميع، ومؤيد بشهادة الشعب كله، وأعمالهم جلية جلية؛ فمع وجود أربع فرق من الكهنة، وكل فرقة تضم أكثر من خمسة آلاف رجل، إلا أنهم يؤدون الخدمة في أيام معينة فقط، وبعد انقضاء تلك الأيام، يتولى كهنة آخرون تقديم ذبائحهم، ويجتمعون في منتصف النهار، ويستلمون مفاتيح الهيكل والأواني تباعًا، دون إدخال أي شيء يتعلق بالطعام أو الشراب إلى الهيكل، بل لا يجوز لنا تقديم مثل هذه الأشياء على المذبح، إلا ما يُعدّ للذبائح.

9- فماذا نقول عن أبيون إلا أنه لم يتطرق إلى هذه الأمور، مع أنه نطق بألفاظ لا تُصدق عنها؟ ولكن من العار على النحوي ألا يكتب تاريخًا حقيقيًا. فلو كان يعلم نقاء معبدنا، لأغفل عنه تمامًا؛ بل يختلق قصة عن خطف يوناني، وعن طعامٍ لا يُوصف، وألذّ مائدة؛ ويدّعي أن الغرباء يستطيعون دخول مكانٍ لا يُسمح لأشرف اليهود بدخوله، إلا إذا كانوا كهنة. وهذا إذًا أقصى درجات الكفر، وكذبٌ مُتعمد، لتضليل من لا يدققون في حقيقة الأمور؛ في حين أن هذه الأذى الفادح المذكور آنفًا قد نتج عن هذه الافتراءات التي تُثار علينا.

10- ولكن هذه المعجزة أو التقوى تسخر منا أكثر، وتضيف الحقائق المزعومة التالية إلى خرافته السابقة؛ لأنه يقول إن هذا الرجل روى كيف، "بينما كان اليهود في حرب طويلة مع الأدوميين، خرج رجل من إحدى مدن الأدوميين، وكان يعبد أبولو هناك. هذا الرجل، الذي يُقال إن اسمه زبيدوس، جاء إلى اليهود، ووعدهم بأنه سيسلم أبولو، إله دورا، إلى أيديهم، وأنه سيأتي إلى معبدنا، إذا صعدوا جميعًا معه، وأحضروا معهم كل حشد اليهود؛ وأن زبيدوس صنع له أداة خشبية معينة، ووضعها

حوله، ووضع ثلاثة صفوف من المصابيح فيها، وسار بطريقة بحيث بدا لمن يقفون على مسافة بعيدة منه وكأنه نوع من النجم يمشي على الأرض؛ وأن اليهود شعروا بالرعب الشديد من هذا المظهر الغريب، ووقفوا في هدوء تام على مسافة؛ وأن زبيدوس، بينما كانوا هادئين للغاية، دخل البيت المقدس، وحمل رأس الحمار الذهبي، [لذلك يكتب مازحًا، ثم عاد إلى دورا مسرعًا. "وأنت تقول ذلك يا سيدي! كما أجيب؛ ثم يحمل أبيون الحمار، أي نفسه، ويلقي عليه عبء السخافات والأكاذيب؛ لأنه يكتب عن أماكن لا وجود لها، وجهل المدن التي يتحدث عنها، يغير وضعها؛ لأن أدومية تجاور بلادنا، وهي قريبة من غزة، حيث لا توجد مدينة مثل دورا؛ مع أنه توجد، صحيح، مدينة اسمها دورا في فينيقيا، بالقرب من جبل الكرمل، لكنها تبعد أربعة أيام عن أدومية. والآن، لماذا يتهمنا هذا الرجل، لأننا لا نملك آلهة مشتركة مع الأمم الأخرى، إذا كان آباؤنا قد أقنعوا بسهولة بمجيء أبولو إليهم، وظنوا أنهم رأوه يمشي على الأرض، والنجوم معه؟ فمن المؤكد أن أولئك الذين لديهم الكثير من الأعياد، التي يشعلون فيها المصابيح، لا بد أنهم، بهذه الوتيرة، لم يروا شمعدانًا قط! لكن يبدو أنه بينما كان زبيدوس يجوب البلاد، حيث كان عشرات الآلاف من الناس، لم يقابله أحد. ويبدو أيضًا أنه، حتى في زمن الحرب، وجد أسوار القدس خالية من الحراس. أغفلت الباقي. كانت أبواب البيت المقدس سبعين ذراعًا ارتفاعًا وثلاثة عشر ذراعًا عرضًا وعشرين ذراعًا؛ وكانت جميعها مطلية بالذهب، وتكاد تكون من الذهب الخالص نفسه، وكان مطلوبًا ما لا يقل عن عشرين رجلاً لإغلاقها كل يوم؛ ولم يكن من المشروع أبدًا تركها مفتوحة، مع أن حامل مصباحنا هذا يبدو أنه فتحها بسهولة، أو ظن أنه فتحها، كما ظن أن رأس الحمار في يده. وبالتالي، هل أعادها إلينا مرة أخرى، أم أن أبيون أخذها وأدخلها إلى

الهيكل مرة أخرى، ليجدها أنطيوخس، ويزوده بمقبض لأسطورة أبيون الثانية، فهذا أمر غير مؤكد.

11- يروي أبيون قصةً كاذبةً أيضًا، حين يذكر قَسَمًا لنا، كأننا "أقسمنا بالله، خالق السماء والأرض والبحر، ألا نُظهر حسن النية لأي أجنبي، ولا سيما لأي من اليونانيين". كان ينبغي لهذا الكذاب أن يقول صراحةً: "لن نُظهر حسن النية لأي أجنبي، ولا سيما لأي من المصريين". إذ لو كان هذا ليُطابق قصته عن القَسَم مع بقية تزويراته الأصلية، لو أن أجدادنا طردهم أقاربهم، المصريون، لا بسبب أي شرور ارتكبوها، بل بسبب المصائب التي حلّت بهم؛ أما بالنسبة لليونانيين، فقد كنا بعيدين عنهم في مكاننا، لا مختلفين عنهم في مؤسساتنا، فلا عداوة لنا معهم ولا غيرة منهم. "بل على العكس من ذلك، فقد حدث أن كثيرين منهم قد اعتنقوا قوانيننا، وبعضهم استمر في مراعاتها، على الرغم من أن آخرين منهم لم تكن لديهم الشجاعة الكافية للاستمرار، فانحرفوا عنها مرة أخرى؛ ولم يسمع أحد قط هذا القسم الذي أقسمناه: ويبدو أن أبيون كان الشخص الوحيد الذي سمعه، لأنه كان في الواقع أول مؤلف له.

12- ومع ذلك، فإن أبيون يستحق الإعجاب لحكمته العظيمة فيما سأقوله، وهو هذا: "هناك علامة واضحة بيننا، وهي أننا لا نملك قوانين عادلة، ولا نعبد الله كما ينبغي، لأننا لسنا حكامًا، بل خاضعون للأمم، تارة لأمة، وتارة أخرى لأخرى؛ وأن مدينتنا تعرضت لكوارث عديدة، بينما كانت مدينتهم [الإسكندرية] مدينة إمبراطورية منذ القدم، ولم تكن خاضعة للرومان." ولكن من الأفضل لهذا الرجل الآن أن يترك هذا التباهي، لأن كل من سواه سيظن أن أبيون قال ما قاله ضد نفسه؛ فهناك أمم قليلة جدًا حظيت بحظ جيد للبقاء أجيالًا عديدة في الإمارة، ومع ذلك فإن التغيرات في الشؤون البشرية جعلتها خاضعة لغيرها؛ وكثيرًا ما خضعت معظم الأمم، وأخضعها الآخرون. أما بالنسبة للمصريين، فلعلهم

الأمة الوحيدة التي حظيت بهذا الامتياز الاستثنائي، ألا وهي عدم خدمتهم لأيٍّ من الملوك الذين قهروا آسيا وأوروبا، وذلك، كما يزعمون، لأن الآلهة هربت إلى بلادهم، ونجا كلٌّ منهم بالتحول إلى وحوش برية! أما هؤلاء المصريون، فهم نفس الشعب الذي يبدو أنه لم ينعم يومًا واحدًا بالحرية، لا، ولا حتى من حكامه. فلن ألومهم على سرد أسلوب الفرس في استغلالهم، ليس مرة واحدة فقط، بل مرات عديدة، عندما دمروا مدنهم، وهدموا معابدهم، وقطعوا أعناق الحيوانات التي اعتبروها آلهة؛ إذ ليس من المعقول تقليد جهل أبيون المتهكم، الذي لا يبالي بمصائب الأثينيين، أو اللاكديمونيين، الذين وصفهم الجميع بأنهم الأكثر شجاعة، بينما وصفهم الأولون بأنهم الأكثر تدينًا بين اليونانيين. لا أذكر شيئًا عن الملوك الذين اشتهروا بالتقوى، ولا سيما أحدهم، الذي كان اسمه كريسوس، ولا عن المصائب التي واجهها في حياته؛ ولا أذكر شيئًا عن قلعة أثينا، أو معبد أفسس، أو معبد دلفي، ولا عن عشرة آلاف معبد آخر أُحرقت، بينما لم يُلقِ أحد باللوم على المتضررين، بل على الفاعلين فيها. لكننا التقينا الآن بأبيون، مُتهم أمتنا، وإن كان لا يزال ينسى بؤس شعبه، المصريين؛ لكن سيزوستريس، الذي كان يومًا ما ملكًا مشهورًا لمصر، هو الذي أعماه. والآن لن نفخر بملكينا، داود وسليمان، رغم أنهما غزوا أممًا كثيرة؛ ولذلك سنتركهما وشأنهما. ومع ذلك، يجهل أبيون ما يعلمه الجميع، وهو أن المصريين كانوا عبيدًا للفرس، ثم للمقدونيين، عندما كانوا سادة آسيا، ولم يكونوا أفضل حالًا من العبيد، بينما كنا نتمتع بالحرية سابقًا؛ بل وأكثر من ذلك، سيطرنا على المدن المحيطة بنا، واستمر هذا قرابة مائة وعشرين عامًا، حتى جاء بومبيوس الكبير. وعندما غزت الرومان جميع الملوك في كل مكان، كان أجدادنا هم الشعب الوحيد الذي ظل يُنظر إليه كحلفاء لهم وأصدقائهم، بفضل إخلاصهم لهم.16

13- يقول أبيون: "لكننا نحن اليهود لم يكن بيننا رجالٌ بارعون، ولا مخترعون فنون، ولا مشاهير حكمة". ثم يذكر سقراط، وزينون، وكليانثس، وآخرين من أمثالهم؛ ثم يضيف نفسه إليهم، وهو أروع ما قاله، ويصف الإسكندرية بالسعادة لوجود مواطنٍ مثله فيها؛ إذ كان أصلح رجلٍ ليشهد على استحقاقاته، مع أنه لم يظهر للآخرين إلا كدجالٍ فاسد، ذي حياةٍ فاسدةٍ وخطاباتٍ فاسدة؛ ولهذا السبب يحق للمرء أن يشفق على الإسكندرية، إذا ما ارتأت تقدير مواطنٍ مثله. أما بالنسبة لرجالنا، فقد كان لدينا من يستحقون الثناء كغيرهم، ومن اطلع على آثارنا لا يمكن أن يجهلها.

14- أما بالنسبة للأمور الأخرى التي يعتبرها مذمومة، فربما يكون من الأفضل تركها تمر دون اعتذار، حتى يُسمَح له بأن يكون متهمًا لنفسه ولبقية المصريين. ومع ذلك، فهو يتهمنا بذبح الحيوانات، والامتناع عن لحم الخنزير، ويسخر منا لختاننا أعضاءنا السرية. أما ذبحنا للحيوانات الأليفة للذبائح، فهو أمر شائع بيننا وبين جميع البشر؛ لكن هذا أبيون، بجعله التضحية بها جريمة، يُظهر أنه مصري؛ لأنه لو كان يونانيًا أو مقدونيًا، [كما يدعي]، لما أبدى أي انزعاج من ذلك؛ لأن هؤلاء الناس يفتخرون بذبح كميات هائلة من الماشية للآلهة، ويستخدمون تلك الذبائح للولائم؛ ومع ذلك، لم يُخلَّ العالم من الماشية، كما خشي أبيون أن يحدث. لو اتبع جميع البشر عادات المصريين، لكان العالم بلا شك خرابًا للبشرية، لكنه امتلأ بأعنف أنواع الوحوش، التي، لأنهم يعتقدون أنها آلهة، يغذونها بعناية. ومع ذلك، إذا سأل أحد أبيون أي المصريين يعتبره أحكمهم وأتقىهم، لقر بالتأكيد أن الكهنة هم كذلك؛ لأن التواريخ تقول إن شيئين كانا في الأصل موكلين إليهم بوصايا ملوكهم: عبادة الآلهة، ودعم الحكمة والفلسفة. وبناءً على ذلك، فإن هؤلاء الكهنة جميعًا مختونون، ويمتنعون عن لحم الخنزير؛ ولا يساعدهم أي من المصريين الآخرين في

ذبح الذبائح التي يقدمونها للآلهة. لذلك، كان أبيون أعمى تمامًا في عقله عندما دبر، من أجل المصريين، توبيخنا واتهام آخرين لا يستغلون فقط سلوك الحياة الذي ينتهكه كثيرًا، بل علّموا الآخرين أيضًا الختان، كما يقول هيرودوت؛ مما يجعلني أعتقد أن أبيون يُعاقب بهذا العقاب العادل على إلقاء مثل هذه اللوم على قوانين بلده؛ لأنه اختتن هو نفسه اضطرارًا، بسبب قرحة في عضوه التناسلي؛ وعندما لم يستفد من هذا الختان، بل أصبح عضوه فاسدًا، مات في عذاب عظيم. الآن، يجب على الرجال ذوي الطباع الطيبة أن يلتزموا بقوانينهم الخاصة المتعلقة بالدين بدقة، وأن يثابروا عليها، ولكن لا يسيئوا استخدام قوانين الأمم الأخرى في الوقت الذي تخلى فيه أبيون عن قوانينه الخاصة، وكذب بشأن قوانيننا. وكانت هذه نهاية حياة أبيون، وهذه ستكون خاتمة حديثنا عنه.

15- ولكن الآن، بما أن أبولونيوس مولو وليسيماخوس وآخرين يكتبون رسائل عن موسى، واضع القوانين، وعن قوانيننا التي ليست عادلة ولا صادقة، وهذا جزئيًا بسبب الجهل، ولكن في الغالب بسبب سوء نية تجاهنا، بينما يتهمون موسى بأنه محتال ومخادع، ويتظاهرون بأن قوانيننا تعلمنا الشر، ولكن لا شيء من الفضيلة، لدي نية للحديث بإيجاز، وفقًا لقدرتي، عن دستورنا بأكمله، وعن فروعه الخاصة. لأنني أفترض أنه سيتضح من ذلك، أن القوانين التي وضعناها لنا مصممة بأفضل طريقة لتعزيز التقوى، والتواصل المتبادل بيننا، وحب البشرية بشكل عام، وكذلك للعدالة، ودعم الأعمال بشجاعة، واحتقار الموت. وأرجو من أولئك الذين سيطلعون على كتاباتي هذه، أن يقرؤوها دون تحيز. ليس من غرضي أن أكتب مديحًا لأنفسنا، بل سأعتبر هذا دفاعًا عادلًا عنا، ومصدرًا لقوانيننا التي نسير بها حياتنا، ضد الاعتراضات الكثيرة والباطلة التي وُجهت إلينا. علاوة على ذلك، بما أن أبولونيوس هذا لا يحذو حذو أبيون، ويواصل توجيه الاتهامات إلينا، فإنه يفعل ذلك فقط

بالتهريج والتهريج في حديثه، بينما يوبخنا أحيانًا على أننا ملحدون وكارهون للبشر، ويضربنا أحيانًا بقسوة بسبب نقص شجاعتنا، ومع ذلك، على العكس من ذلك، يتهمنا أحيانًا بالجرأة المفرطة والجنون في سلوكنا؛ بل يقول إننا أضعف البرابرة، وأن هذا هو سبب كوننا الشعب الوحيد الذي لم يُحدث أي تحسينات في حياة الإنسان؛ الآن أعتقد أنني سأكون قد دحضت كل هذه الادعاءات بما فيه الكفاية، عندما يتبين أن قوانيننا تُملي عكس ما يقوله تمامًا، وأننا نلتزم بها بأنفسنا بدقة شديدة. "وإذا اضطررت إلى الإشارة إلى قوانين الأمم الأخرى المخالفة لقوانيننا، فإن أولئك الذين تظاهروا بتقليل شأن قوانيننا بالمقارنة بقوانينهم يستحقون أن يشكروا أنفسهم على ذلك؛ ولن يكون هناك، في اعتقادي، أي مجال بعد ذلك لهم للتظاهر إما بأننا لا نملك مثل هذه القوانين، وهو ما سأقدمه للقارئ، أو أننا، قبل كل شيء، لا نستمر في مراعاتها.

16- لكي أبدأ من جديد، أود أن أطرح هذا، أولاً، أن أولئك الذين كانوا معجبين بالنظام الجيد والعيش في ظل القوانين العامة، والذين بدأوا في إدخالها، قد يكون لديهم هذه الشهادة بأنهم أفضل من غيرهم من الرجال، سواء من حيث الاعتدال أو الفضيلة التي تتفق مع الطبيعة. في الواقع، كان سعيهم هو الاعتقاد بأن كل ما سنوه قديم جدًا، حتى لا يُعتقد أنهم يقلدون الآخرين، بل قد يبدو أنهم قدموا طريقة حياة منتظمة للآخرين من بعدهم. وبما أن هذا هو الحال، فإن تفوق المشرع يُرى في توفير معيشة الناس بأفضل طريقة، وفي إقناع أولئك الذين سيطبقون القوانين التي سنها لهم، بأن يكون لديهم رأي جيد عنها، وفي إجبار الجمهور على المثابرة عليها، وعدم إجراء أي تغييرات عليها، لا في الرخاء ولا في الشدة. الآن أجرؤ على القول، إن مشرعنا هو أقدم المشرعين الذين سمعنا بهم. أما بالنسبة لليكورجوس، وسولونس، وزاليوس لوكرينسيس، وجميع أولئك المشرعين الذين يُعجب بهم اليونانيون، فيبدو أنهم من

الماضي، إذا ما قورنوا بمشرعنا، إذ لم يكن اسم القانون معروفًا بين اليونانيين في العصور القديمة. ويشهد هوميروس على صحة هذه الملاحظة، إذ لم يستخدم هذا المصطلح قط في جميع قصائده؛ لأنه لم يكن موجودًا آنذاك، بل كانت الجماهير تحكمها حُكمًا حكيمًا، وأوامر ملكهم. وقد استمروا طويلًا في استخدام هذه العادات غير المكتوبة، مع أنهم كانوا يُغيرونها باستمرار في مناسبات عديدة. "ولكن بالنسبة لمشرعنا، الذي كان أقدم بكثير من الباقين، [كما يعترف بذلك حتى أولئك الذين يتحدثون ضدنا في جميع المناسبات]، فقد أظهر نفسه للشعب كأفضل حاكم ومستشار لهم، وضمّن تشريعه سلوك حياتهم بالكامل، وأقنعهم بقبوله، وجعله يحدث بحيث يلتزم أولئك الذين أصبحوا على دراية بقوانينه بها بعناية فائقة.

17- ولكن دعونا نفكر في أول وأعظم أعماله؛ لأنه عندما قرر أجدادنا مغادرة مصر والعودة إلى بلادهم، أخذ موسى هذا الآلاف الكثيرة من الناس، وأنقذهم من العديد من المحن اليائسة، وأعادهم إلى ديارهم سالمين. وبالتأكيد كان من الضروري هنا السفر عبر بلد بلا ماء، ومليء بالرمال، للتغلب على أعدائهم، وخلال هذه المعارك، للحفاظ على أطفالهم ونسائهم وفرائسهم؛ وفي جميع هذه المناسبات أصبح قائدًا ممتازًا للجيش، ومستشارًا حكيمًا للغاية، وشخصًا يعتني بهم جميعًا بأصدق رعاية؛ كما أنه حقق ذلك، حتى أن كل الجمهور اعتمد عليه. وبينما كان يجعلهم دائمًا مطيعين لما يأمر به، لم يستغل سلطته بأي شكل من الأشكال لمصلحته الخاصة، وهو الوقت المعتاد الذي يكتسب فيه الحكام سلطات عظيمة لأنفسهم، ويمهدون الطريق للطغيان، ويعتادون الجمهور على العيش في انحلال شديد؛ بينما، عندما كان مُشرّعنا يتمتع بسلطة عظيمة، رأى، على العكس من ذلك، أنه يجب عليه مراعاة التقوى، وإظهار حسن نيته تجاه الشعب؛ وبهذه الطريقة

اعتقد أنه قد يُظهر القدر العظيم من الفضيلة التي كانت فيه، وقد يضمن أقصى درجات الأمان لأولئك الذين جعلوه حاكمًا عليهم. لذلك، عندما توصل إلى مثل هذا القرار الجيد، وقام بهذه المآثر الرائعة، كان لدينا سبب وجيه لاعتباره حاكمًا ومستشارًا إلهيًا. وعندما أقنع نفسه أولاً بأن أفعاله ومقاصده كانت موافقة لإرادة الله، رأى أن من واجبه، قبل كل شيء، أن يطبع هذه الفكرة في قلوب العامة؛ لأن أولئك الذين آمنوا ذات مرة بأن الله هو مُفتش حياتهم، لن يسمحوا لأنفسهم بأي خطيئة. وهذه هي صفة مُشرّعنا: لم يكن مُحتالاً ولا مُخادعاً، كما يقول مُنتقدوه، وإن كان ذلك ظلماً، بل كان من النوع الذي يتباهون بوجود مينوس بين اليونانيين وغيرهم من المُشرّعين بعده؛ إذ يظنّ بعضهم أنهم استقوا قوانينهم من كوكب المشتري، بينما قال مينوس إن وحي قوانينه سيُعزى إلى أبولو، ووحيه في دلفي، سواءً اعتقدوا حقاً أنها مُستمدة من هذا المصدر، أو ظنّوا، مع ذلك، أنهم يستطيعون إقناع الناس بسهولة بذلك. ولكن أيّ هؤلاء كان من وضع أفضل القوانين، وأيهم كان لديه أكبر سبب للاعتقاد بأن الله هو واضعها، فسيكون من السهل، بمقارنة هذه القوانين نفسها، تحديدها؛ فقد حان الوقت لنصل إلى هذه النقطة. هناك اختلافات لا تُحصى في العادات والقوانين الخاصة بالبشرية جمعاء، ويمكن تلخيصها باختصار في العناوين التالية: سمح بعض المشرعين لحكوماتهم بأن تكون في ظل أنظمة ملكية، ووضعها آخرون في ظل أنظمة حكم أوليغارشية، ووضعها آخرون في ظل نظام جمهوري؛ لكن مشرعنا لم يُراعِ أيًا من هذه الأنظمة، بل شرع حكومتنا لتكون ما يُمكن تسميته، بتعبير مُصغّر، بالثيوقراطية، وذلك بإسناد السلطة والقوة إلى الله، وإقناع جميع الناس بالاحترام له، باعتباره مصدر كل الخيرات التي تمتعت بها البشرية جمعاء، أو كل فرد على حدة، وكل ما نالوه بالدعاء إليه في أشد محنتهم. وأخبرهم أنه من المستحيل أن نغفل عن مراقبة الله،

حتى في أي من أعمالنا الخارجية، أو في أي من أفكارنا الداخلية. علاوة على ذلك، فقد صوّر الله على أنه غير مولود، 21 وغير قابل للتغيير، إلى الأبد، متفوق على جميع المفاهيم البشرية في جماله؛ ومع أنه معروف لنا بقدرته، إلا أننا نجهل جوهره. لا أشرح الآن كيف أن هذه المفاهيم عن الله هي مشاعر أحكم اليونانيين، وكيف تعلموها على المبادئ التي قدمها لهم. ومع ذلك، فإنهم يشهدون، بثقة كبيرة، على أن هذه المفاهيم عادلة ومتوافقة مع طبيعة الله وجلاله؛ لأن فيثاغورس، وأناكساغورس، وأفلاطون، والفلاسفة الرواقيين الذين خلفوهم، وجميع البقية تقريبًا، لديهم نفس المشاعر، وكان لديهم نفس المفاهيم عن طبيعة الله؛ ومع ذلك لم يجرؤ هؤلاء الرجال على الكشف عن هذه المفاهيم الحقيقية لأكثر من قلة، لأن جماعة الناس كانت متحيزة بآراء أخرى مسبقًا. لكن مُشرِّعنا، الذي جعل أفعاله متوافقة مع قوانينه، لم يُقنع معاصريه بموافقته على هذه المفاهيم فحسب، بل رسّخ هذا الإيمان بالله في نسلهم جميعًا، بحيث لم يكن من الممكن إزالته أبدًا. والسبب في أن دستور هذا التشريع كان مُوجَّهًا بشكل أفضل لمصلحة الجميع من غيره من التشريعات، هو أن موسى لم يجعل الدين جزءًا من الفضيلة، بل رأى ورسم فضائل أخرى لتكون جزءًا من الدين؛ أعني العدالة، والثبات، والاعتدال، والاتفاق الشامل بين أعضاء المجتمع بعضهم مع بعض؛ لأن جميع أفعالنا ودراساتنا، وجميع أقوالنا، [في تسوية موسى]، لها علاقة بالتقوى تجاه الله؛ لأنه لم يترك أيًا منها معلقًا أو غير مُحدَّد. فهناك طريقان للوصول إلى أي نوع من التعلم والسلوك الأخلاقي في الحياة؛ أحدهما عن طريق التعليم بالكلام، والآخر عن طريق التمارين العملية. وقد فصل مشرعون آخرون بين هذين الطريقين في آرائهم، فاختاروا أحدهما، أو ما يرضي كل واحد منهم، وأهملوا الآخر. وهكذا علّم اللاكديمونيون والكريتيون بالممارسة العملية لا بالقول؛ بينما سنّ

الأثينيون، وجميع اليونانيين تقريبًا، قوانين تحدد ما يجب فعله وما لا يجب فعله، لكنهم لم يلتفتوا إلى تطبيقها عمليًا.

18- ولكن بالنسبة لمشرعنا، فقد جمع بعناية شديدة بين هاتين الطريقتين للتعليم؛ لأنه لم يترك هذه التمارين العملية لتستمر دون تعليم شفهي، ولم يسمح بسماع القانون دون تمارين الممارسة؛ ولكن بدءًا من الطفولة المبكرة، وتحديد نظام كل شخص الغذائي، لم يترك شيئًا من أصغر الأهمية ليتم القيام به تحت تصرف الشخص نفسه. وبناءً على ذلك، فقد وضع قاعدة ثابتة للقانون بشأن أنواع الطعام التي يجب أن يمتنعوا عنها، والأنواع التي يجب أن يستخدموها؛ وكذلك الشركة التي يجب أن تكون لديهم مع الآخرين والاجتهاد الكبير الذي يجب أن يستخدموه في أعمالهم، وأوقات الراحة التي يجب أن تتخللها، حتى نتمكن من خلال العيش في ظل هذا القانون كما لو كنا تحت أب وسيد، من أن نكون مذنبين بأي خطيئة، لا طوعية ولا عن جهل؛ لأنه لم يسمح بمرور ذنب الجهل دون عقاب، بل أظهر أن القانون هو أفضل وأكثر التعليمات ضرورة من بين جميع القوانين الأخرى، مما يسمح للناس بترك أعمالهم الأخرى، والتجمع معًا لسماع القانون وتعلمه بدقة، وهذا ليس مرة أو مرتين، أو في كثير من الأحيان، ولكن كل أسبوع؛ وهو الأمر الذي يبدو أن جميع المشرعين الآخرين أهملوه.

19- في الواقع، إن معظم البشر بعيدون كل البعد عن الالتزام بقوانينهم الخاصة، لدرجة أنهم لا يكادون يعرفونها؛ ولكن عندما يخطئون، يتعلمون من الآخرين أنهم انتهكوا القانون. حتى أولئك الذين يشغلون أعلى المناصب الرئيسية في الحكومة، يعترفون بجهلهم بتلك القوانين، ويضطرون إلى تعيين أشخاص يزعمون إتقانها كمستشارين لهم في الإدارات العامة؛ أما شعبنا، فإذا سأل أحدٌ أي شخص منهم عن قوانيننا، فسيخبره بها جميعًا بسهولة أكبر من أن يخبر باسمه، وذلك لأننا تعلمناها

فورًا بمجرد أن أصبحنا على دراية بأي شيء، ولأنها محفورة في نفوسنا كما لو كانت. إن من يخالفونها قليلون، ومن المستحيل، عندما يرتكب أي شخص خطأً، أن يفلت من العقاب.

20- وهذا الشيء نفسه هو الذي يخلق في المقام الأول مثل هذا الاتفاق العجيب في العقول بيننا جميعًا؛ لأن هذا الاتفاق الكامل بيننا في جميع مفاهيمنا عن الله، وعدم وجود اختلاف في مسار حياتنا وعاداتنا، يوفر بيننا أروع انسجام بين عاداتنا هذه في أي مكان بين البشر؛ لأنه لم يتجنب أي شعب آخر سوى اليهود جميع الأحاديث عن الله التي تتناقض بأي شكل من الأشكال مع بعضها البعض، والتي مع ذلك شائعة بين الأمم الأخرى؛ وهذا صحيح ليس فقط بين الأشخاص العاديين، حسب تأثر كل شخص، ولكن بعض الفلاسفة كانوا وقحين بما يكفي للانغماس في مثل هذه التناقضات، بينما تعهد بعضهم باستخدام كلمات تسلب طبيعة الله تمامًا، كما سلب آخرون عنايته بالبشرية. ولا يمكن لأحد أن يلاحظ بيننا أي اختلاف في سلوك حياتنا، ولكن جميع أعمالنا مشتركة بيننا جميعًا. لدينا نوع واحد من الحديث عن الله، وهو متوافق مع شريعتنا، ويؤكد أنه يرى كل شيء؛ كما أن لدينا طريقة واحدة للحديث عن سلوك حياتنا، وهي أن جميع الأشياء الأخرى يجب أن يكون هدفها التقوى؛ وهذا ما يمكن لأي شخص أن يسمعه من نسائنا وخدمنا أنفسهم.

21- "ومن هنا نشأ الاتهام الذي يوجهه البعض إلينا، بأننا لم ننتج رجالاً مخترعين لعمليات جديدة، أو طرقاً جديدة في الكلام؛ لأن آخرين يعتقدون أنه من الجيد الاستمرار في شيء تم تسليمه من أسلافهم، وهؤلاء يشهدون بأنه مثال على الحكمة القصوى عندما يجرؤ هؤلاء الرجال على انتهاك تلك التقاليد؛ بينما نحن، على العكس من ذلك، نفترض أنه من حكمتنا وفضيلتنا الوحيدة عدم قبول أي أفعال أو افتراضات تتعارض مع قوانيننا الأصلية؛ وهذا الإجراء لدينا هو علامة

عادلة ومؤكدة على أن قانوننا قد تم وضعه بشكل رائع؛ لأن مثل هذه القوانين التي لم يتم وضعها بشكل جيد يتم إدانتها عند المحاكمة بأنها تفتقر إلى التعديل.

22- ولكن بينما نحن مقتنعون بأن قانوننا قد وُضع بما يتوافق مع إرادة الله، فمن غير اللائق بنا ألا نلتزم به؛ فما الذي فيه مما قد يغيره أحد؟ وما الذي يمكن اختراعه ليكون أفضل؟ أو ما الذي يمكننا أن نستغني عنه من قوانين الآخرين ليتجاوزها؟ ربما يريد البعض تغيير نظام حكومتنا بأكمله. وأين نجد دستورًا أفضل أو أعدل من دستورنا، وهو ما يجعلنا نعتبر الله حاكمًا للكون، ويسمح للكهنة عمومًا بتولي إدارة الشؤون الرئيسية، ويسلم في الوقت نفسه حكم الكهنة الآخرين إلى رئيس الكهنة نفسه؟ أي كهنة لم يرقهم مشرعنا، عند تعيينهم الأول، إلى تلك المكانة لثرواتهم، أو لأي وفرة في ممتلكاتهم الأخرى، أو لأي وفرة حظوا بها كعطايا ثروة؛ بل أوكل الإدارة الرئيسية للعبادة الإلهية إلى من تفوقوا على غيرهم في القدرة على إقناع الناس، وفي الحكمة في السلوك. كان هؤلاء الرجال مسؤولين بشكل رئيسي عن القانون والأجزاء الأخرى من سلوك الشعب الموكلة إليهم؛ لأنهم كانوا الكهنة الذين تم تعيينهم ليكونوا مفتشين على الجميع، والقضاة في القضايا المشكوك فيها، ومعاقبين أولئك الذين حُكم عليهم بتحمل العقوبة.

23- فأيُّ شكلٍ من أشكال الحكم أقدس من هذا؟ وأيُّ عبادةٍ لله أحقُّ من عبادتنا، حيثُ يُهيَّأ الشعبُ أجمعُه للدين، ويُطلَبُ من الكهنةِ عنايةٌ فائقة، وحيثُ يُنظَّمُ النظامُ السياسيُّ بأكمله كما لو كان احتفالًا دينيًا مُحدَّدًا؟ فأيُّ شيءٍ لا يستطيعُ الأجانبُ مراعاته لبضعةِ أيامٍ عندما يُقيمونَ مثلَ هذه الأعياد، ويُسمُّونها أسرارًا وشعائرَ مقدسة، نُمارسُه نحنُ بسرورٍ عظيمٍ وعزيمةٍ ثابتةٍ طوالَ حياتنا. فما هي الأشياءُ التي تُؤمرُ بنا أو تُنهى عنا؟ إنها بسيطةٌ وسهلةُ المعرفة. الوصيةُ الأولى مُتعلِّقةٌ بالله،

وتُؤكِّدُ أنَّ اللهَ يَحوي كلَّ شيء، وهو كائنٌ كاملٌ وسعيدٌ بكلِّ وجه، مُكتفٍ بذاته، ويُغذِّي جميعَ الكائناتِ الأخرى؛ هو البدايةُ والوسطُ والغايةُ لكلِّ شيء. هو ظاهرٌ في أعماله وخيراته، وأبرزُ من أيِّ كائنٍ آخر؛ أما من حيثُ هيئتِهِ وعظمته، فهو في غايةِ الغموض. جميع المواد، مهما كانت باهظة الثمن، لا تصلح لتصويره، وجميع الفنون لا تصلح للتعبير عن الفكرة التي ينبغي أن تكون لدينا عنه. لا يمكننا أن نرى أو نفكر في أي شيء يشبهه، وليس من المقبول من التقوى أن نشكل له مثيلاً. نرى أعماله، النور، السماء، الأرض، الشمس والقمر، المياه، أجيال الحيوانات، نتاج الثمار. هذه الأشياء صنعها الله، لا بأيدي ولا بجهد، ولا كأنها تفتقر إلى مساعدة أحد يتعاون معه؛ ولكن كما قررت إرادته أن تكون جيدة أيضًا، فقد صُنعت وأصبحت جيدة على الفور. يجب على جميع البشر اتباع هذا الكائن، وعبادته في ممارسة الفضيلة؛ لأن هذه الطريقة في عبادة الله هي أقدس الطرق الأخرى.

24- ينبغي أن يكون هناك هيكل واحد فقط للإله الواحد؛ فالتشابه هو أساس الاتفاق الدائم. يجب أن يكون هذا الهيكل مشتركًا لجميع البشر، لأنه إلههم المشترك. يجب أن يكون رؤساء الكهنة على الدوام في عبادته، ويكون البكر بالولادة حاكمًا عليهم إلى الأبد. يجب أن تكون مهمته تقديم الذبائح لله، مع الكهنة المرتبطين به، والتأكد من مراعاة القوانين، وفض النزاعات، ومعاقبة المدانين بالظلم؛ بينما من لا يخضع له سيخضع لنفس العقوبة، كما لو كان مذنبًا بعصيان الله نفسه. عندما نقدم الذبائح له، فإننا لا نفعل ذلك لإفراطنا في الشراب أو السكر؛ لأن مثل هذه الإسرافات تتعارض مع إرادة الله، وستكون سببًا للأذى والترف؛ ولكن للحفاظ على رصانتنا ونظامنا واستعدادنا لشغلنا الآخر، وأن نكون أكثر اعتدالًا من غيرنا. ولأجل واجبنا عند الذبائح، ينبغي علينا أولًا أن ندعو من أجل خير الجميع، ثم من أجل خيرنا الخاص؛ لأننا خُلقنا لنكون شركة

بعضنا مع بعض، ومن يُفضّل الخير العام على ما يخصه يكون مقبولًا لدى الله قبل كل شيء. ولتكن صلواتنا وتضرعاتنا متواضعة لله، لا أن يُعطينا ما هو صالح، [لأنه قد وهب الخير من تلقاء نفسه، وعرضه على الجميع علنًا]، بل أن ننالها حقها، وأن نحافظ عليها بعد نوالها. وقد حدد الناموس طقوسًا عدة لتطهير ذبائحنا، منها ما نُطهّر به بعد الجنازة، وما يحدث لنا أحيانًا في الفراش، وبعد مرافقة زوجاتنا، وفي مناسبات أخرى كثيرة، يطول شرحها الآن. وهذه هي عقيدتنا في الله وعبادته، وهي نفسها التي حددها الناموس لممارساتنا.

25- ولكن، ما هي قوانيننا بشأن الزواج؟ لا يسمح هذا القانون باختلاط الجنسين إلا ما قضت به الطبيعة، أي اختلاط الرجل بزوجته، وأن يُستخدم هذا فقط لإنجاب الأطفال. ولكنه يبغض اختلاط الذكر بالذكر؛ ومن يفعل ذلك، فالموت عقابه. ويأمرنا أيضًا، عندما نتزوج، ألا نراعي النصيب، ولا نتزوج امرأة بالعنف، ولا نغريها بالخداع والمكر؛ بل أن نطلب زواجها ممن يملك السلطة على التصرف بها، ويستحق أن يتخلى عنها لقربه من أقاربه؛ لأن الكتاب المقدس يقول: "المرأة دون زوجها في كل شيء". 23 فلتطعه إذن؛ لا لكي يسيء إليها، بل لكي تعترف بواجبها تجاه زوجها؛ لأن الله قد منح الزوج السلطة. لذلك، على الزوج ألا يضاجع إلا زوجته التي تزوجها. لكن أن يكون الأمر متعلقًا بزوجة رجل آخر هو أمر شرير، وإذا تجرأ أي شخص عليه، فإن الموت هو عقوبته حتمًا: لا يمكنه تجنب الشيء نفسه الذي يجبر عذراء على مخطوبة لرجل آخر، أو يغوي زوجة رجل آخر. علاوة على ذلك، يأمرنا القانون بتربية جميع ذريتنا، ويحظر على النساء التسبب في إجهاض ما يولد، أو تدميره بعد ذلك؛ وإذا بدا أن أي امرأة قد فعلت ذلك، فستكون قاتلة لطفلها، بتدمير كائن حي، وتقليل النوع البشري؛ إذا قام أي شخص، لذلك، بمثل هذا الزنا أو القتل، فلن يتمكن من أن يكون طاهرًا. علاوة على ذلك، يأمر

القانون، أنه بعد أن يضطجع الرجل وزوجته معًا بطريقة منتظمة، يجب أن يستحما؛ لأن هناك نجاسة تنتقل عن طريق ذلك، في كل من الروح والجسد، كما لو كانوا قد ذهبوا إلى بلد آخر. لأن الروح، باتحادها بالجسد، تكون عرضة للبؤس، ولا تتحرر منه إلا بالموت؛ ولهذا السبب يتطلب القانون أن يتم هذا التطهير بالكامل.

26- بل إن الشريعة لا تجيز لنا إقامة احتفالات عند ولادة أبنائنا، مما قد يؤدي إلى الإفراط في الشرب؛ بل تأمرنا بأن نوجه بداية تربيتنا نحو الاعتدال. كما تأمرنا بتربية هؤلاء الأطفال على العلم، وتدريبهم على تطبيق القوانين، وتعريفهم بأفعال أسلافهم ليقتدوا بها، ولينشأوا على هذه القوانين منذ صغرهم، فلا يخالفوها، ولا يتظاهروا بجهلها.

27- لقد اهتم قانوننا أيضًا بدفن الموتى بشكل لائق، ولكن دون أي نفقات باهظة في جنازاتهم، ودون إقامة أي نصب تذكارية لهم؛ بل أمر بأن يقوم أقرب أقربائهم بدفنهم؛ وجعل من المعتاد أن يرافق كل من يمر عند دفن أي شخص الجنازة ويشارك في الرثاء. كما نص على تطهير المنزل وسكانه بعد انتهاء الجنازة، ليتعلم كل من بعد ذلك الابتعاد تمامًا عن أفكار الطهارة، إذا كان قد ارتكب جريمة قتل.

28- يأمر القانون أيضًا بإكرام الوالدين بعد الله نفسه، ويُرجم الابن الذي لا يُكافئهما على ما تلقاه منهما، بل يُقصّر في أي مناسبة من هذا القبيل. كما ينص على وجوب احترام الشباب لكل شيخ، لأن الله أكبر المخلوقات. ولا يُجيز القانون إخفاء أي شيء عن أصدقائنا، لأن الصداقة الحقيقية لا تُلزمهم بكل شيء: كما يُحرّم إفشاء الأسرار، حتى لو نشأت بينهما عداوة. إذا قبِل أي قاضٍ رشوة، فعقوبته الموت: ومن يُغض الطرف عن من يُقدّم له التماسًا، وهو قادر على إعفائه، فهو مُذنب. ما لم يُؤتمن عليه أحدٌ غيره لا يُطالب به. لا يجوز لأحد أن يمس ممتلكات غيره. ولا يجوز لمن يُقرض مالًا أن يطلب ربا مقابل قرضه. هذه، وغيرها الكثير من القواعد

المشابهة، هي القواعد التي توحدنا في مجموعات المجتمع مع بعضنا البعض.

29- من المفيد أيضًا أن نرى مدى الإنصاف الذي يريدنا مشرِّعنا أن نمارسه في تعاملنا مع الغرباء؛ إذ سيتضح من ذلك أنه حرص على ألا نحلَّ نظامنا الداخلي، ولا نُظهر أي حسد تجاه من يُريدون أن يُوطِّدوا صداقتنا. وبناءً على ذلك، يسمح مشرِّعنا لكل من يرغب في الالتزام بقوانيننا أن يفعل ذلك؛ وذلك بأسلوب ودي، مُقدِّرًا أن ذلك اتحاد حقيقي لا يمتد إلى أبنائنا فحسب، بل إلى من يُريدون أن يعيشوا معنا على نفس النهج؛ ومع ذلك، فهو لا يسمح لمن يأتون إلينا صدفةً أن يُقبَلوا في شركتنا.

30- ومع ذلك، هناك أشياء أخرى رسمها لنا مُشرِّعنا مُسبقًا، والتي يجب علينا بالضرورة أن نفعلها جميعًا بشكل مُشترك؛ مثل توفير النار والماء والطعام لمن يحتاج إليها؛ وإرشادهم إلى الطرق؛ وعدم ترك أي شخص دون دفن. كما أنه يريد منا أن نعامل أولئك الذين نُعتبرهم أعداءً لنا باعتدال؛ لأنه لا يسمح لنا بإشعال النار في بلادهم، ولا يسمح لنا بقطع تلك الأشجار المُثمرة؛ بل إنه يمنعنا أيضًا من نهب أولئك الذين قُتلوا في الحرب. كما أنه قد وفّر أيضًا للذين يتم أسرهم، حتى لا يُصابوا بأذى، وخاصةً حتى لا تُساء معاملة النساء. لقد علّمنا اللطف والإنسانية بفعالية كبيرة، لدرجة أنه لم يحتقر رعاية الوحوش الوحشية، من خلال عدم السماح بأي شيء آخر غير الاستخدام المنتظم لها، ومنع أي شيء آخر؛ وإذا جاء أي منهم إلى منازلنا، كمتوسلين، فنحن ممنوعون من قتلهم؛ ولا يجوز لنا قتل الأمهات مع صغارها؛ بل علينا، حتى في بلاد العدو، أن نحافظ على تلك الكائنات التي تعمل من أجل البشرية ولا نقتلها. وهكذا دبر مشرعنا لتعليمنا السلوك العادل بكل الطرق، مستخدمًا إيانا القوانين التي تُرشدنا إليها؛ وفي الوقت نفسه، قضى بمعاقبة من يخالف هذه القوانين دون أي عذر.

31- الآن معظم الجرائم عندنا هي الإعدام؛ كما لو أن أي شخص مذنب بالزنا؛ إذا كان أي شخص يكره عذراء؛ إذا كان أي شخص وقحًا لدرجة محاولة اللواط مع ذكر؛ أو إذا، عندما حاول شخص آخر عليه، فإنه يستسلم لذلك. وهناك أيضًا قانون للعبيد من هذا النوع، لا يمكن تجنبه أبدًا. علاوة على ذلك، إذا خدع أي شخص آخر في المقاييس أو الأوزان، أو أجرى صفقة وبيعًا ماكرًا، من أجل خداع آخر؛ إذا سرق أي شخص ما يخص شخصًا آخر، وأخذ ما لم يودعه أبدًا؛ كل هذا له عقوبات مخصصة لهم؛ ليست مثل تلك التي تواجهها الأمم الأخرى، بل عقوبات أشد. وأما محاولات السلوك الظالم تجاه الوالدين، أو عدم التقوى ضد الله، فحتى لو لم يتم تنفيذها بالفعل، فإن الجناة يُهلكوا على الفور. ومع ذلك، فإن مكافأة أولئك الذين يعيشون وفقًا للقوانين تمامًا ليست فضة أو ذهبًا؛ إنها ليست إكليلًا من أغصان الزيتون أو صغر سن، ولا أي علامة علنية من هذا القبيل للثناء؛ لكن كل إنسان صالح لديه ضميره الخاص يشهد على نفسه، وبفضل الروح النبوية لمشرعنا، والضمانة الراسخة التي يمنحها الله نفسه لمثل هذا الإنسان، فإنه يعتقد أن الله قد منح هذه الوفرة لمن يلتزمون بهذه القوانين، حتى لو اضطروا للموت في سبيلها، أنهم سيعودون إلى الوجود، وعند انقلاب معين للأمور سينالون حياة أفضل مما كانوا يتمتعون به من قبل. وما كنت لأجرؤ على كتابة هذا الآن، لولا أن الجميع يعلمون من خلال أفعالنا أن كثيرًا من شعبنا قد عزموا بشجاعة في كثير من الأحيان على تحمل أي معاناة، بدلًا من قول كلمة واحدة ضد قانوننا.

32- بل، لو حدث أن أمتنا لم تكن معروفة بين الناس كما هي الآن، وأن خضوعنا الطوعي لقوانيننا لم يكن واضحًا وجليًا كما هو الآن، لكن أحدهم تظاهر بأنه كتب هذه القوانين بنفسه، وقرأها على اليونانيين، أو تظاهر بأنه التقى برجال من خارج حدود العالم المعروف، لديهم

تصورات مُبجَّلة عن الله، واستمروا طويلًا في الالتزام الصارم بقوانين مثل قوانيننا، لا يسعني إلا أن أفترض أن جميع الناس سيُعجبون بها عند تأمل التغييرات المتكررة التي خضعوا لها؛ بينما يُتهم أولئك الذين حاولوا كتابة شيء من هذا القبيل للسياسة والحكم والقوانين بتأليف أشياء فظيعة، ويُقال إنهم قاموا بمهمة مستحيلة عليها. وهنا لن أتحدث عن أولئك الفلاسفة الآخرين الذين قاموا بشيء من هذا القبيل في كتاباتهم. حتى أفلاطون نفسه، الذي يُعجب به الإغريق لما يتمتع به من رصانة في سلوكه، وقوة في كلماته، وقدرته على إقناع الناس أكثر من أي فلاسفة آخرين، لا يُستهان به ويُستهزأ به لهذا السبب من قِبل من يدّعون الفطنة في الشؤون السياسية؛ مع أن من يُمعن النظر في كتاباته سيجد أن مبادئه لطيفة نوعًا ما، وقريبة جدًا من عادات عامة البشر. بل إن أفلاطون نفسه يُقر بأنه من غير الآمن نشر الفكرة الحقيقية عن الله بين عامة الناس. ومع ذلك، ينظر بعض الناس إلى أحاديث أفلاطون على أنها ليست أكثر من كلمات فارغة مُفبركة ببراعة بالغة. ومع ذلك، يُعجبون بليكورغوس باعتباره المشرّع الرئيسي، ويُشيد جميع الناس بإسبرطة لالتزامها الراسخ بقوانينه طويلًا. لقد وصلنا إلى هذا الحد، وهو أن الخضوع للقوانين يُعتبر علامة على الفضيلة. 24 ولكن دع أولئك الذين يعجبون بهذا في الإكديمونيين يقارنون مدة حكمهم بأكثر من ألفي عام استمرت حكومتنا السياسية؛ ودعهم يفكرون أيضًا في أنه على الرغم من أن الإكديمونيين بدا أنهم التزموا بقوانينهم تمامًا أثناء تمتعهم بحريتهم، إلا أنهم عندما خضعوا لتغيير في حالتهم، نسوا كل تلك القوانين تقريبًا؛ بينما نحن، بعد أن مررنا بعشرة آلاف تغيير في حالتنا بسبب التغييرات التي حدثت بين ملوك آسيا، لم نخن قوانيننا أبدًا في ظل أشد الضيقات التي كنا فيها؛ ولم نهملها إما بسبب الكسل أو من أجل لقمة العيش. ٢٥ إذا تأمل أحدٌ في الأمر، فإن الصعوبات والمتاعب التي واجهناها كانت أعظم مما يبدو أن صبر

اللاكديمونيين قد تحملوه، بينما لم يحرثوا أرضهم، ولم يمارسوا أي حرف، بل عاشوا في مدينتهم، متحررين من كل هذا العناء، يتمتعون بالوفرة، ويمارسون ما يُحسّن أجسامهم، بينما كانوا يستخدمون غيرهم كخدم لهم في جميع ضروريات الحياة، وكانوا يُعدّون لهم طعامهم؛ وهذه الأعمال الصالحة والإنسانية لا يفعلونها إلا لهذا الغرض، حتى يتمكنوا بأفعالهم ومعاناتهم من قهر كل من يحاربونهم. ولا داعي لإضافة هذا، أنهم لم يتمكنوا تمامًا من مراعاة قوانينهم؛ فليس فقط عدد قليل من الأفراد، بل أعداد كبيرة منهم، أهملوا هذه القوانين، وسلموا أنفسهم، مع أسلحتهم، إلى أيدي أعدائهم.

33- أما بالنسبة لنا، فأجرؤ على القول إنه لا يمكن لأحد أن يخبر عن الكثيرين؛ بل ليس أكثر من واحد أو اثنين خانوا قوانيننا، لا، ليس خوفًا من الموت نفسه؛ لا أقصد موتًا سهلًا كما يحدث في المعارك، ولكن ذلك الذي يأتي مع العذابات الجسدية، ويبدو أنه أشد أنواع الموت على الإطلاق. الآن أعتقد أن أولئك الذين قهرونا قد وضعونا في مثل هذه الوفيات، ليس بسبب كراهيتهم لنا عندما أخضعونا، ولكن بالأحرى بسبب رغبتهم في رؤية مشهد مدهش، وهو هذا، ما إذا كان هناك مثل هؤلاء الرجال في العالم الذين يعتقدون أنه لا يوجد شر كبير بالنسبة لهم لدرجة إجبارهم على فعل أو التحدث بأي شيء يتعارض مع قوانينهم الخاصة. ولا ينبغي للناس أن يتساءلوا منا، إذا كنا أكثر شجاعة في الموت من أجل قوانيننا من جميع الرجال الآخرين؛ لأن الرجال الآخرين لا يخضعون بسهولة للأشياء الأسهل التي تم تأسيسنا عليها؛ "أعني العمل بأيدينا، وتناول القليل من الطعام، والاكتفاء بالأكل والشرب، ليس عشوائيًا، أو حسب رغبة كل شخص، أو الالتزام بقواعد لا تنتهك في النوم مع زوجاتنا، وفي الأثاث الفاخر، ومرة أخرى في مراعاة أوقات راحتنا؛ في حين أن أولئك الذين يستطيعون استخدام سيوفهم في الحرب، ويمكنهم

إجبار أعدائهم على الفرار عندما يهاجمونهم، لا يستطيعون تحمل الخضوع لمثل هذه القوانين حول طريقة حياتهم: في حين أن اعتيادنا على الخضوع للقوانين طواعية في هذه الحالات، يجعلنا مؤهلين لإظهار قوتنا في مناسبات أخرى أيضًا.

34- ومع ذلك، فإن ليسيماكي ومولونيس، وبعض الكتاب الآخرين، [على الرغم من كونهم سفسطائيين غير ماهرين ومخادعين للشباب] يوبخوننا باعتبارنا أشنع البشر على الإطلاق. الآن ليس لدي أي نية للتحقيق في قوانين الأمم الأخرى؛ لأن عادة بلدنا هي الالتزام بقوانيننا الخاصة، ولكن ليس توجيه اتهامات ضد قوانين الآخرين. والواقع أن مشرعنا قد منعنا صراحة من السخرية من أولئك الذين يقدسهم الآخرون آلهة وسبهم؟ بسبب اسم الله نفسه المنسوب إليهم. ولكن بما أن خصومنا يعتقدون أنهم يهاجموننا على مقارنة دينهم بديننا، فليس من الممكن التزام الصمت هنا، خاصة وأن ما سأقوله لدحض هؤلاء الرجال لن يُقال الآن أولاً، ولكن قد قاله بالفعل كثيرون، وأولئك من ذوي السمعة العالية أيضًا؛ فمن بين أولئك الذين أُعجب بهم بين الإغريق للحكمة، لم يُلقِ باللوم الشديد على كل من أشهر الشعراء والمشرعين الأكثر شهرة، لنشرهم مثل هذه المفاهيم في الأصل بين الناس فيما يتعلق بالآلهة؟ مثل هذه، بحيث يُسمح لهم بأن يكونوا كثيرين بقدر ما لديهم من عقل لامتلاكهم؛ وأنهم يولدون من بعضهم البعض، وأنهم بعد كل أنواع الأجيال التي يمكنك تخيلها. كما أنهم يميزونهم في أماكنهم وطرق معيشتهم كما يميزون عدة أنواع من الحيوانات؛ كما لو كان بعضهم تحت الأرض؛ كما لو كان بعضهم في البحر؛ وأقدمهم جميعًا مقيدًا في الجحيم؛ وبالنسبة لأولئك الذين خصصوا لهم الجنة، فقد جعلوا عليهم واحدًا، وهو في اللقب والدهم، ولكنه في أفعاله طاغية وسيد؛ ومن هنا حدث أن زوجته وأخوه

وابنته [التي أنجبها من رأسه] تآمروا ضده للاستيلاء عليه واحتجازه، كما استولى هو نفسه على والده واحتجازه من قبل.

35- ولقد اعتقد أحكم الرجال بحق أن هذه المفاهيم تستحق توبيخًا شديدًا؛ كما أنهم يسخرون منها لأنها تحدد أنه يجب علينا أن نصدق أن بعض الآلهة بلا لحى وشباب، وأن آخرين منهم كبار في السن، وأن لديهم لحى وفقًا لذلك؛ وأن بعضهم يعملون في الحرف؛ وأن أحد الآلهة حداد، وإلهة أخرى حائكة؛ وأن أحد الآلهة محارب، ويقاتل مع الرجال؛ وأن بعضهم عازفو قيثارة، أو يستمتعون بالرماية؛ وإلى جانب ذلك، تنشأ الفتن المتبادلة بينهم، وأنهم يتشاجرون على الرجال، وهذا إلى حد أنهم لا يضعون أيديهم على بعضهم البعض فحسب، بل يتعرضون لإصابات من قبل الرجال، ويندبون، ويتحملون على ذلك آلامهم. ولكن ما هو أفظع من ذلك كله من حيث الفجور، هو تلك الشهوات الجامحة المنسوبة إلى جميعهم تقريبًا، وغرامياتهم؛ فكيف يكون هذا إلا افتراضًا سخيفًا، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالآلهة الذكور، وبالإلهات الإناث أيضًا؟ علاوة على ذلك، فإن رئيس آلهتهم جميعًا، وأبوهم الأول نفسه، يتغاضى عن تلك الإلهات اللاتي خدعهن وحملهن، ويتركهن يُسجن أو يُغرقن في البحر. وهو أيضًا مقيد بالقدر، فلا يستطيع إنقاذ ذريته، ولا يتحمل موتهم دون ذرف الدموع. هذه أمور رائعة حقًا! وكذلك ما يليها. إن الزنا في السماء ينظر إليه الآلهة بوقاحة شديدة، لدرجة أن بعضهم اعترف بأنه يحسد أولئك الذين وُجدوا متلبسين به. ولماذا لا يفعلون ذلك، وأكبرهم، وهو ملكهم أيضًا، لم يستطع كبح جماح شهوته، من مضاجعة زوجته، طالما أنهما تستطيعان دخول حجرة نومهما؟ بعض الآلهة خدمٌ للبشر، ويكونون أحيانًا بنائين بمقابل، وأحيانًا رعاة؛ بينما يُسجن آخرون، كالمجرمين، في سجنٍ من نحاس. وأيُّ شخصٍ عاقلٍ لا يستفزُّه مثل هذه القصص، فيوبخ من لفّقوها، ويدين سخافة من يُقرّون بصحتها؟ بل

هناك آخرون زرعوا في طبيعة الآلهة وشكلها نوعًا من الخوف والهلع، وكذلك الجنون والخداع، وأيّة نزوةٍ أخرى من أشنع النزوات، وأقنعوا مدنًا بأكملها بتقديم ذبائح لأفضل أنواعها؛ ولذلك اضطروا إلى اعتبار بعض الآلهة مانحي خيرات، واعتبار بعضها الآخر دافعًا عن الشر. كما يسعون إلى تحريضهم، كما يفعلون مع أشقى البشر، بالهدايا والعطايا، باحثين عن لا شيء سوى نيل شرٍّ عظيمٍ منهم، ما لم يدفعوا لهم مثل هذه الأجور.

36- لذا، يجدر بنا أن نبحث في سبب هذه الإدارة الظالمة، وهذه الفضائح المتعلقة بالإله. وأظن حقًا أنها نابعة من نقص معرفة المشرعين الوثنيين في البداية بطبيعة الله الحقيقية؛ ولم يشرحوا للشعب حتى ما فهموه منها؛ ولم يضعوا الأجزاء الأخرى من مستوطناتهم السياسية وفقًا لها، بل أغفلوها لكونها أمراً تافهاً، وسمحوا للشعراء بإدخال ما يشاؤون من الآلهة، وللمتأثرين بشتى أنواع الأهواء، وللخطباء باستصدار مراسيم سياسية من الشعب لقبول الآلهة الأجنبية التي يرونها مناسبة. وكان للرسامين وصانعي التماثيل في اليونان أيضًا سلطة عظيمة في هذا الصدد، إذ كان كل منهم قادرًا على ابتكار شكل [مناسب للإله]؛ أحدهما يُشكِّل من الطين، والآخر بصنع صورة مجردة له. لكن أولئك العمال الذين كانوا موضع إعجاب في المقام الأول، استخدموا العاج والذهب كمواد ثابتة لتماثيلهم الجديدة [ونتيجة لذلك، فإن بعض المعابد مهجورة تمامًا، بينما تحظى معابد أخرى بتقدير كبير، وتزينها جميع طقوس التطهير المختلفة]. علاوة على ذلك، فإن الآلهة الأولى، التي ازدهرت طويلًا في التكريمات المقدمة لها، قد كبروا الآن [بينما جاء أولئك الذين ازدهروا بعدهم في مكانهم كرتبة ثانية، لأتمكن من التحدث عنهم بأكبر قدر ممكن من التكريم]: بل، هناك آلهة أخرى تم تقديمها حديثًا، وعُبدت حديثًا [كما قلنا، على سبيل الاستطراد، ومع ذلك تركت أماكن عبادتهم مهجورة]؛ وبالنسبة لمعابدهم، تُرك بعضها مهجورًا بالفعل، وبُني البعض

الآخر من جديد، وفقًا لرغبات البشر؛ بينما يجب أن يكون رأيهم في الله، والعبادة التي تحق له، هو نفسه دائمًا وبلا تغيير.

37- لكن أبولونيوس مولو هذا كان من هؤلاء الحمقى المتكبرين. ومع ذلك، لم يكن شيء مما قلته خافيًا على الفلاسفة الحقيقيين بين اليونانيين، ولم يكونوا على دراية بتلك الادعاءات الباردة للاستعارات [التي زُعم أنها كذلك]؛ ولذلك احتقروها بحق، لكنهم مع ذلك اتفقوا معنا في المفاهيم الحقيقية والمناسبة لله؛ ولذلك رفض أفلاطون قبول أيٍّ من الشعراء الآخرين في التسويات السياسية، بل طرد حتى هوميروس نفسه، مع إكليل على رأسه، ودهن عليه، وذلك لأنه لا ينبغي أن يُدمر المفاهيم الصحيحة لله بخرافاته. بل لقد حذا أفلاطون حذو مُشرّعنا في هذه النقطة، حين أوصى مواطنيه بأن يُولوا هذه الوصية اهتمامًا بالغًا: "أن يتعلم كل واحد منهم قوانينه بدقة". كما أمرهم بعدم السماح للأجانب بالاختلاط بشعبهم عشوائيًا. وشريطة أن تحافظ الدولة على نقائها، وأن تتكون فقط من أولئك الذين يثابرون في قوانينهم الخاصة. لم يفكر أبولونيوس مولو في هذا الأمر بأي حال من الأحوال، عندما جعله فرعًا من اتهامه ضدنا، بأننا لا نقبل أولئك الذين لديهم مفاهيم مختلفة عن الله، ولن يكون لدينا شركة مع أولئك الذين يختارون اتباع طريقة حياة مختلفة عنا، ومع ذلك أليست هذه الطريقة خاصة بنا، بل شائعة بين جميع الرجال الآخرين؛ ليس بين اليونانيين العاديين فقط، ولكن بين هؤلاء اليونانيين الأكثر شهرة بينهم. علاوة على ذلك، استمر اللاكديمونيون في طريقتهم في طرد الأجانب، ولم يسمحوا بالفعل لشعبهم بالسفر إلى الخارج، لأنهم يشتبهون في أن هذين الأمرين سيؤديان إلى حل قوانينهم الخاصة: وربما يكون هناك سبب لإلقاء اللوم على صرامة اللاكديمونيين، لأنهم لم يمنحوا امتياز مدينتهم لأي أجانب، ولم يسمحوا لهم بالبقاء بينهم؛ في حين أننا، على الرغم من أننا لا نعتقد أنه من المناسب تقليد المؤسسات

الأخرى، إلا أننا نسمح طواعية لأولئك الذين يرغبون في المشاركة في مؤسستنا، وهو ما أعتقد أنني قد أعتبره مؤشرًا واضحًا على إنسانيتنا، وفي نفس الوقت على كرمنا أيضًا.

38- لكن لن أتحدث أكثر عن اللاكديمونيين. أما الأثينيون، الذين يفتخرون بجعل مدينتهم مشتركة بين جميع الناس، فلم يكن أبولونيوس يعلم ما كان سلوكهم، بينما كانوا يعاقبون من يتكلم بكلمة واحدة مخالفًا لقوانين الآلهة، دون أي رحمة؛ لأنه بأي سبب آخر أعدموا سقراط؟ فمن المؤكد أنه لم يخن مدينتهم لأعدائها، ولم يكن مذنبًا بأي تدنيس فيما يتعلق بأي من معابدهم؛ ولكن لهذا السبب، أقسم بعض الأيمان الجديدة 26 وأنه أكد إما بجدية، أو، كما يقول البعض، مازحًا فقط، أن شيطانًا ما كان يشير إليه [بما لا ينبغي أن يفعله]. لهذه الأسباب حُكم عليه بشرب السم وقتل نفسه. كما اشتكى متهمه من أنه أفسد الشباب، بتحريضهم على احتقار الاستقرار السياسي وقوانين مدينتهم: وهكذا عوقب سقراط، المواطن الأثيني. كان هناك أيضًا أنكساغوراس، الذي كان على وشك أن يُحكم عليه بالإعدام، رغم كونه من كلازومينتي، لأنه قال إن الشمس، التي كان الأثينيون يعتبرونها إلهًا، كانت كرة من نار. كما أعلنوا علنًا: "سيُعطون موهبة لمن يقتل دياغوراس الميلوسي"، لأنه نُقل عنه أنه سخر من أسرارهم. كذلك بروتاغوراس، الذي يُعتقد أنه كتب شيئًا لم يُقرّ الأثينيون بصحته عن الآلهة، أُلقي القبض عليه وأُعدم، لو لم يهرب فورًا. ولا عجب أن يُعاملوا رجالًا بهذه الطريقة، بينما لم يُعفِوا حتى النساء؛ فقد قتلوا كاهنة مؤخرًا، لأن أحدهم اتهمها بأنها تُعلّم الناس عبادة آلهة غريبة، حيث كان ذلك محظورًا بموجب أحد قوانينهم؛ وحُكم بالإعدام على من يُدخل إلهًا غريبًا. من الواضح أن من يطبقون مثل هذا القانون لا يعتقدون أن آلهة الأمم الأخرى آلهة حقيقية، وإلا لما حسدوا أنفسهم على امتلاك آلهة أكثر مما لديهم. وهكذا كانت إدارة شؤون الأثينيين! أما

السكيثيون، فهم يتلذذون بقتل البشر، ولا يختلفون عن الوحوش إلا قليلاً؛ ومع ذلك يرون من المعقول مراعاة قوانينهم. كما قتلوا أناخارسيس، وهو شخصٌ كان موضع إعجاب كبير بين اليونانيين لحكمته، عندما عاد إليهم، لأنه بدا وكأنه مثقل بالعادات اليونانية. وقد يجد المرء أيضًا أن كثيرين قد عوقبوا بين الفرس، للسبب نفسه. ولا شك أن أبولونيوس كان مسرورًا جدًا بقوانين الفرس، وكان معجبًا بها، لأن اليونانيين تمتعوا بميزة شجاعتهم، وكان لديهم نفس الرأي عن الآلهة الذي كان لديهم. وقد تجلى هذا الأخير في المعابد التي أحرقوها، وشجاعتهم في المجيء، واستعبادهم اليونانيين بالكامل تقريبًا. ومع ذلك، فقد قلد أبولونيوس جميع الأعراف الفارسية، وذلك بممارسة العنف على زوجات الرجال الآخرين، وخصي أبنائه. أما نحن، فإن إساءة أي شخص حتى للحيوان الوحشي جريمة يعاقب عليها بالإعدام؛ أما نحن، فلم يتمكن خوف حكامنا، ولا الرغبة في اتباع ما تحترمه الأمم الأخرى، من إبعادنا عن قوانيننا؛ ولم نبذل شجاعتنا في إثارة الحروب لزيادة ثروتنا، بل فقط من أجل مراعاة قوانيننا؛ وعندما نتحمل خسائر أخرى بصبر، وعندما يُجبرنا أي شخص على خرق قوانيننا، فإننا نختار خوض الحرب، حتى لو كانت تفوق قدرتنا على الاستمرار فيها، ونتحمل أعظم الكوارث حتى النهاية بشجاعة كبيرة. وما الذي يدفعنا إلى الرغبة في تقليد قوانين الأمم الأخرى، بينما نرى أنها لا تُحترم من قِبل مُشرّعيهم؟ ٢٧ ولماذا لا يُفكّر اللاكديمونيون في إلغاء شكل حكمهم الذي يسمح لهم بعدم الاختلاط بالآخرين، وكذلك احتقارهم للزواج؟ ولماذا لا يُلغي الإيليون والطيبيون تلك الشهوة الشاذة والوقحة التي تدفعهم إلى مضاجعة الرجال؟ لأنهم لن يُظهروا علامة كافية على توبتهم عما اعتبروه قديمًا ممتازًا ونافعًا جدًا في ممارساتهم، ما لم يتجنبوا تمامًا جميع هذه الأفعال في المستقبل: بل إن هذه الأشياء مُدمجة في صلب قوانينهم، وكان لها في

السابق نفوذ كبير بين الإغريق، لدرجة أنهم نسبوا هذه الممارسات اللواطية إلى الآلهة أنفسهم، كجزء من حسن خلقهم؛ وبالفعل كان الأمر كذلك أن الآلهة تزوجت أخواتها. لقد ابتكر اليونانيون هذا كوسيلة للاعتذار عن ملذاتهم السخيفة وغير الطبيعية.

39- أغفل الحديث عن العقوبات، وكم من طرق الهروب منها قدمها الجزء الأكبر من المشرعين للمجرمين، من خلال إصدار مرسوم بأنه يجب السماح بغرامات مالية للزنا، وإفساد 28 [العذارى] يحتاجون فقط إلى الزواج منهم وكذلك الأعذار التي قد تكون لديهم في إنكار الحقائق، إذا حاول أي شخص الاستفسار عنها؛ لأنه بين معظم الأمم الأخرى، فإن كيفية انتهاك الرجال لقوانينهم هي فن مدروس؛ ولكن لا يُسمح بمثل هذا الشيء بيننا؛ لأنه على الرغم من حرماننا من ثروتنا أو مدننا أو المزايا الأخرى التي لدينا، فإن قانوننا يظل خالدًا؛ ولا يمكن لأي يهودي أن يبتعد عن بلده، ولا أن يخاف من أشد اللوردات قسوة، بحيث لا يكون أكثر خوفًا من القانون منه. إذا كان هذا هو التصرف الذي نحن عليه، فيما يتعلق بتفوق قوانيننا، فليقدم لنا أعداؤنا هذا التنازل، بأن قوانيننا هي الأفضل على الإطلاق؛ وإذا كانوا لا يزالون يتصورون أننا، وإن كنا نتمسك بها بشدة، إلا أنها قوانين سيئة رغم ذلك، فما هي العقوبات التي يستحقونها إذًا ممن لا يلتزمون بقوانينهم الخاصة، التي يعتبرونها أسمى منها بكثير؟ وبما أن طول المدة يُعدّ المعيار الحقيقي في جميع الأحوال، فإني أعتبر ذلك شهادة على تفوق قوانيننا، وعلى الإيمان الذي نالناه من الله بفضلها. فبما أن هذه المقارنة قد طالت مدتها، فإن من قارن مدتها بمدة القوانين التي سنها مشرّعون آخرون، سيجد أن مشرّعينا أقدمهم جميعًا.

40- لقد أثبتنا بالفعل أن قوانيننا كانت من النوع الذي ألهم دائمًا الإعجاب والتقليد لدى جميع الرجال الآخرين؛ بل إن الفلاسفة اليونانيين الأوائل،

على الرغم من أنهم التزموا في المظهر بقوانين بلادهم، إلا أنهم اتبعوا في أفعالهم ومذاهبهم الفلسفية مشرعنا، وأمروا الناس بالعيش باعتدال، والتواصل الودي مع بعضهم البعض. بل، علاوة على ذلك، كان لدى عامة البشر أنفسهم ميل كبير منذ زمن طويل لاتباع طقوسنا الدينية؛ لأنه لا توجد مدينة من مدن اليونانيين، ولا أي من البرابرة، ولا أي أمة على الإطلاق، حيث جاءت عادتنا في الراحة في اليوم السابع، والتي لا يتم فيها مراعاة صيامنا وإضاءة المصابيح، والعديد من محظوراتنا المتعلقة بطعامنا. إنهم يسعون أيضًا إلى تقليد وفاقنا المتبادل فيما بيننا، وتوزيعنا الخيري لخيراتنا، واجتهادنا في تجارتنا، وصبرنا على تحمل الشدائد التي نمر بها بسبب قوانيننا؛ وما يثير الإعجاب هنا هو أن قانوننا ليس له طعم للمتعة يغري الناس به، بل يسود بقوته الذاتية؛ وكما أن الله نفسه ينتشر في جميع أنحاء العالم، فقد مر قانوننا في جميع أنحاء العالم أيضًا. لذلك، إذا فكر أحد في بلده وعائلته، فسيكون لديه سبب لتصديق ما أقوله. لذلك، من العدل إما أن ندين جميع البشر على الانغماس في تصرفات شريرة، عندما كانوا يرغبون بشدة في تقليد القوانين التي هي غريبة عليهم وشريرة في حد ذاتها، بدلاً من اتباع قوانينهم الخاصة ذات الطابع الأفضل، وإلا فيجب على متهمينا أن يكفوا عن حقدهم علينا. ولا نحملهم على أي حسدٍ حين نُكرّم مُشرّعنا، ونؤمن بما علّمنا إياه عن الله بسلطانه النبوي. فمع أننا لا نستطيع أن نفهم عظمة قوانيننا، إلا أن كثرة الراغبين في تقليدها تُبرّرنا بتقديرنا الكبير لأنفسنا بناءً عليها.

41- أما بالنسبة للقوانين السياسية [المتميزة] التي نحكم بها، فقد نقلتها بدقة في كتبي عن الآثار؛ ولم أذكرها الآن إلا بقدر ما كان ضروريًا لغرضي الحالي، دون أن أقترح على نفسي إما إلقاء اللوم على قوانين الأمم الأخرى، أو الإشادة بقوانيننا؛ ولكن من أجل إدانة أولئك الذين كتبوا عنا ظلماً، وفي تظاهر وقح بإخفاء الحقيقة. والآن أعتقد أنني أكملت بشكل كافٍ ما

اقترحته في كتابة هذه الكتب. فبينما تظاهر متهمونا بأن أمتنا هي شعب ذو أصول متأخرة جدًا، فقد أثبت أنهم قدماء للغاية؛ لأنني قدمت كشهود على ذلك العديد من الكتاب القدماء، الذين ذكروا عنا في كتبهم، في حين قالوا إنه لم يفعل ذلك أي كاتب من هذا القبيل. علاوة على ذلك، زعموا أننا نشأنا من المصريين، بينما أثبتُّ أننا جئنا من بلد آخر إلى مصر. وبينما كذبوا علينا، وكأننا طُرِدنا من هناك بسبب أمراض في أجسادنا، فقد ظهر، على العكس، أننا عدنا إلى بلادنا باختيارنا، بأجساد سليمة وقوية. ووبّخ هؤلاء المُدّعون مُشرّعنا ووصفوه بالخسيس؛ بينما شهد الله قديمًا بفضيلة سلوكه؛ ومنذ تلك الشهادة، تبيّن أن الزمن نفسه قد شهد على الشيء نفسه.

42- أما القوانين نفسها، فلا حاجة لمزيد من الكلمات، فهي ظاهرة بطبيعتها، ويبدو أنها لا تُعلّم الكفر، بل أصدق تقوى في العالم. إنها لا تُبغض الناس، بل تشجعهم على تبادل ما لديهم بحرية؛ إنها تُعادي الظلم، وتحمي الحق، وتنفي الكسل وغلاء المعيشة، وتُعلّم الناس الرضا بما لديهم، والاجتهاد في عملهم؛ إنها تمنع الناس من شن الحروب رغبةً في الكسب، لكنها تُشجعهم على الدفاع عن القوانين؛ إنها لا هوادة فيها في معاقبة المجرمين؛ لا تقبل مغالطة الكلام، بل تُثبتها الأفعال نفسها دائمًا، وهي الأفعال التي نعتبرها دائمًا دليلًا أكيدًا مما هو مكتوب فقط: ولهذا السبب أجرؤ على القول إننا أصبحنا مُعلّمين للآخرين، في أكثر الأمور، وفي أسمى الطباع فقط؛ فما هو أفضل من التقوى التي لا تُمس؟ وما هو أكثر عدلًا من الخضوع للقوانين؟ وما هو أنفع من المحبة المتبادلة والوئام؟ وذلك حتى لا ننقسم بسبب الكوارث، ولا نصبح مؤذين ومثيرين للفتنة في الرخاء؛ بل أن نحتقر الموت في الحرب، وفي السلم أن نكرس أنفسنا لأعمالنا الميكانيكية، أو لحراثة الأرض؛ بينما نحن في كل شيء وكل الطرق راضون بأن الله هو المفتش والحاكم لأفعالنا. لو كانت هذه الوصايا قد

كُتبت في البداية، أو بالأحرى حفظها غيرنا قبلنا، لكنا مدينين لها بالشكر كما يدين التلاميذ لأسيادهم؛ ولكن إذا كان واضحًا أننا استفدنا منها أكثر من أي رجل آخر، وإذا أثبتنا أن الاختراع الأصلي لها هو من صنعنا، فليقف الأبيون والمولون، مع كل من يتلذذ بالكذب والتوبيخ، مدحضين. ولكن دع هذا الكتاب والكتاب السابق يُهدى إليك يا إبفروديتس، الذي أنت محب عظيم للحقيقة، وبواسطتك إلى أولئك الذين كانوا يرغبون بنفس الطريقة في التعرف على شؤون أمتنا.

كتاب أبيون، المجلد الثاني، الحواشي

1

[كُتب الجزء الأول من هذا الكتاب الثاني ردًا على افتراءات أبيون، ثم، بإيجاز، ردًا على افتراءات أبولونيوس مولو المماثلة. لكن بعد ذلك، يُغفل يوسيفوس أي رد أكثر تفصيلًا على خصوم اليهود، ويُقدم لنا وصفًا مُفصّلًا ومُمتازًا ودفاعًا عن تلك الثيوقراطية التي استقرت للأمة اليهودية على يد موسى، مُشرّعهم العظيم.]

2

[أطلق عليها طيباريوس اسم "سيمبالوم موندي"، أي طبلة العالم.]

3

[يبدو أن هذه كانت أول قرص صُنع في مصر، وكان ذلك قبل وقت قصير من صنع آحاز لقرصه [الأول] في يهودا، وحوالي عام 755، في السنة الأولى من الأولمبياد السابع، كما سنرى لاحقًا. انظر ملوك الثاني 20: 11؛ إشعياء ٣٨: ٨.]

٤

[مكان دفن الجثث، على ما أظن.]

٥

[هنا يبدأ عيب كبير في النسخة اليونانية؛ لكن النسخة اللاتينية القديمة تُغطي هذا العيب بالكامل.]

٦

[الخطأ الذي يُعتقد عمومًا أن يوسيفوس قد ارتكبه هنا في نسب خلاص اليهود إلى عهد بطليموس فيسكو، سابع هؤلاء، والذي يُفترض عالميًا أنه حدث في عهد بطليموس فيلوباتير، رابعهم، ليس أفضل من خطأ فادح من المعاصرين، وليس من يوسيفوس، كما أثبتُ تمامًا في "التوثيق الأصلي". الجزء الأول، ص ٢٠٠-٢٠١، والذي أُحيل إليه القارئ الفضولي.]

٧

[ابن أخت، وابن بالتبني.]

٨

[يُدعى بالأصح مولو، أو أبولونيوس مولو، كما هو موضح فيما بعد؛ لأن أبولونيس، ابن مولو، كان شخصًا آخر، كما يخبرنا سترابو، الكتاب الرابع عشر.]

9

[كلمة فورونيس باللاتينية، والتي لا يظهر الآن اسم الحيوان الذي تشير إليه.]

10

[من المؤسف جدًا أن هؤلاء المؤلفين الوثنيين الستة، المذكورين هنا لوصفهم تدنيس أنطيوخس إبيفانيس الشهير للمعبد اليهودي، قد ضاعوا جميعًا؛ أعني كل ما احتوى عليه هذا الوصف من كتاباتهم؛ مع أنه من الواضح أن يوسيفوس اطلع عليها جميعًا كما لو كانت موجودة في عصره.]

11

[من اللافت للنظر أن يوسيفوس هنا، ولا أعتقد أنه في أي مكان آخر، يُحصي أربعة أفنية مميزة للمعبد: فناء الأمم، وفناء نساء إسرائيل، وفناء رجال إسرائيل، وفناء الكهنة.] كما أن محكمة النساء كانت تقبل الرجال،

[أفترض فقط أزواج الزوجات اللواتي كنّ فيها]، بينما محكمة الرجال لم تكن تقبل أي امرأة على الإطلاق.]

12

[يهودا، باليونانية، بسبب خطأ فادح من النساخ.]

13

[سبعة باليونانية، بسبب خطأ فادح مماثل من النساخ. انظر كتاب الحرب، المجلد الخامس، الفصل الخامس، القسم الرابع.]

14

[مائتان باليونانية، على عكس العشرين في كتاب الحرب، المجلد السابع، الفصل الخامس، القسم الثالث.]

15

[هذه العار الفادح الذي لحق بشعب مصر تحديدًا، منذ عهد أنبياء اليهود القدامى، قد ذُكر في كلا القسمين الرابعين، ويمكن تأكيده هنا بشهادة إيزيدور، وهو مصري من بيلوسيوم، رسالة. المكتبة الأولى. ٤٨٩. وهذا إتمامٌ رائعٌ لنبوءة الله القديمة في حزقيال ٢٩: ١٤، ١٥، "أن يكون المصريون مملكةً حقيرة، أدنى الممالك"، وأنها "لن ترتفع بعدُ فوق الأمم".

١٦

[ويتضح هذا الحق أكثر من خلال ملاحظة يوسيفوس الحالية، وهي أن هؤلاء المصريين لم ينعموا، في كل العصور الماضية منذ سيزوستريس، بيوم واحد من الحرية، لا، ولا حتى بالتحرر من السلطة الاستبدادية في ظل أي من الممالك حتى ذلك اليوم. وقد ثبتت صحة كل هذا بنفس القدر في العصور اللاحقة، في عهد الرومان والساراسينيين والمماليك والأتراك، من أيام يوسيفوس إلى يومنا هذا أيضًا.]

١٧

[إن هذه العبارة، التي مفادها أن موسى "أقنع نفسه" بأن ما فعله كان وفقًا لإرادة الله، لا يمكن أن تعني، وفقًا لأفكار يوسيفوس الثابتة في مواضع أخرى، أكثر من أنه كان "مقتنعًا تمامًا" بأنه "اقتنع تمامًا" بأن الأمر كذلك، أي من خلال الوحي العديد الذي تلقاه من الله، والمعجزات العديدة التي مكنه الله من صنعها، كما يؤكد لنا بوضوح وبشكل متكرر في هذين الكتابين بالذات ضد أبيون، وفي كتابه "آثاره". يتضح هذا أكثر من خلال عدة مقاطع لاحقة، حيث يؤكد أن موسى لم يكن دجالاً ولا مخادعاً، ويؤكد أن دستور حكم موسى لم يكن سوى حكومة دينية؛ ويقول إنهم يأملون في الخلاص من ضيقاتهم بالدعاء إلى الله، وأن اليهود كانوا، جزئياً، بفضل هذه الروح النبوية لموسى، يتوقعون قيامة من بين الأموات. انظر استخداماً غريباً لكلمات مماثلة، "الإقناع الله"، Antiq. B. VI. ch. 5. sect. 6.]

18

[أي أن موسى كان حقاً، كما تظاهر المشرّعون الوثنيون، بتوجيه إلهي؛ ولا يبدو بعد أن هذه الادعاءات بسلوك خارق للطبيعة، سواء في هؤلاء المشرّعين أو في النبوءات، كانت مجرد أوهام بشرية خالية من أي انطباعات شيطانية، ولا أن يوسيفوس اعتبرها كذلك؛ لأن أقدم المؤلفين المعاصرين كانوا لا يزالون يعتقدون أنها خارقة للطبيعة.]

19

[صحّح الدكتور هدسون هذا المقطع الضخم بأكمله من اقتباس يوسابيوس له، في الإنجيل التمهيدي، 8، 8، والذي يختلف هنا اختلافًا كبيرًا عن مخطوطة يوسيفوس الحالية.]

20

[يمكن توضيح هذا التعبير نفسه، القائل بأن "موسى عيّن الحكومة اليهودية لتكون ثيوقراطية"، من خلال التعبير الموازي في كتاب "الآثار"، المجلد الثالث، الفصل 8، القسم 9، القائل بأن "موسى ترك لله أن يحضر ذبائحه متى شاء؛ وأن يغيب متى شاء". تبدو كلتا طريقتي الكلام قاسية في آذان اليهود والمسيحيين، كما هو الحال مع العديد من الطرق الأخرى التي يستخدمها يوسيفوس مع الوثنيين؛ لكنها لم تكن مع ذلك غير لائقة به، إذ كان يرى دائمًا أنه من المناسب أن يُكيّف نفسه، سواءً في كتابه "الآثار القديمة" أو في كتبه ضد أبيون، وكلها مكتوبة لاستخدام اليونانيين والرومان، وفقًا لمفاهيمهم ولغتهم، وهذا ما تسمح به له الحقيقة دائمًا. مع ذلك، من الواضح جدًا أنه لم يستخدم مثل هذه التعبيرات أبدًا في كتبه عن الحرب، المكتوبة أصلًا لليهود فيما وراء الفرات، وبلغتهم، في جميع هذه الحالات. ومع ذلك، يفترض يوسيفوس مباشرةً أن الاستيطان اليهودي، في عهد موسى، كان استيطانًا إلهيًا، بل هو في الواقع ليس سوى ثيوقراطية حقيقية.]

21

[هذه الروايات الممتازة عن الصفات الإلهية، وأن الله لا يُعرَف إطلاقًا في جوهره، وكذلك بعض التعبيرات الواضحة الأخرى عن قيامة الموتى، وحالة الأرواح الراحلة، إلخ، في هذا العمل المتأخر ليوسيفوس، تبدو أشبه بالمفاهيم السامية للأسينيين، أو بالأحرى المسيحيين الإبيونيين، منها بمفاهيم مجرد يهودي أو فريسي. ويبدو لي أن الروايات الموسعة التالية عن شرائع موسى تُظهر اهتمامًا بالتفسيرات والتحسينات العليا لشرائع موسى، المستمدة من يسوع المسيح، أكثر من اهتمامها بحرفيتها في العهد القديم، التي أخذها يوسيفوس منها عندما كتب كتابه "الآثار القديمة". ولا أظن أن بعض هذه القوانين، وإن كانت ممتازة عمومًا في

نوعها، موجودة الآن بشكل صحيح، سواء في نسخ أسفار موسى الخمسة اليهودية، أو عند فيلون، أو عند يوسيفوس نفسه، قبل أن يصبح مسيحيًا نصرانيًا أو إبيونيًا؛ ولا حتى جميعها ضمن قوانين المسيحية الكاثوليكية نفسها. لذلك، أود من القارئ المتعلم أن يفكر فيما إذا كانت بعض هذه التحسينات أو التفسيرات خاصة بالأسينيين بين اليهود، أو بالأحرى بالناصريين أو الإبيونيين بين المسيحيين، مع أن لدينا في الواقع روايات ناقصة عن هؤلاء المسيحيين الناصريين أو الإبيونيين الذين نُقلوا إلينا حتى يومنا هذا.

٢٢

[نلاحظ هنا كم كان شائعًا بين اليهود والوثنيين، في هذه الحالة وغيرها، أن الذبائح كانت لا تزال مصحوبة بالصلوات؛ ومن هنا على الأرجح جاءت عبارات "ذبيحة الصلاة، ذبيحة التسبيح، ذبيحة الشكر". إلا أن تلك الأشكال القديمة المستخدمة في الذبائح قد فُقدت الآن بشكل عام، مما ألحق ضررًا بالغًا بالدين الحقيقي. ومن اللافت للنظر هنا أيضًا أنه على الرغم من أن هيكل أورشليم قد بُني كمكان وحيد لتقديم ذبائح الأمة اليهودية بأكملها، إلا أنه لا يوجد ذكر لـ"الذبائح" نفسها، بل لـ"الصلوات" فقط، في صيغة سليمان الطويلة والمشهورة لتكريسه، (١ ملوك ٨؛ ٢ أخبار الأيام ٦). انظر أيضًا العديد من المقاطع المذكورة في الدساتير الرسولية، ٧: ٣٧، وفي كتاب "في الحرب"، أعلاه، ب. ٧: الفصل ٥، القسم. ٦.]

٢٣

[هذا النص غير موجود في أي مكان في نسخنا الحالية من العهد القديم.]

٢٤

[قد لا يكون من الخطأ أن نورد هنا شهادةً جليلةً للفيلسوف العظيم شيشرون، بشأن تفضيل "القوانين على الفلسفة": يقول: "سأعلن رأيي

بجرأة، وإن استاء منه العالم أجمع. أُفضّل هذا الكتاب الصغير من الألواح الاثني عشر وحده على جميع مجلدات الفلاسفة. أجده ليس فقط أكثر وزنًا، بل وأكثر فائدةً أيضًا." - أوراتوري.]

٢٥

[لقد لاحظنا أوقات راحتنا، وأنواع الطعام المسموح لنا بها [حاشية خلال محنتنا]].]

٢٦

[انظر ما كانت عليه تلك الأيمان الجديدة في ملاحظة الدكتور هدسون، وهي الحلف ببلوط، وعنزة، وكلب، وأيضًا بإوزة، كما يقول فيلوستراتوس وآخرون. كان هذا القسم الغريب محرمًا أيضًا من قِبل الصوريين (الجزء الأول، القسم ٢٢)، كما يشير سبانهايم هنا.]

٢٧

[من الصعب الجزم لماذا يُلقي يوسيفوس باللوم هنا على بعض المشرعين الوثنيين، عندما أجازوا تسويةً سهلةً كهذه للزنا البسيط، كإلزامٍ بالزواج من العذراء الفاسدة، نظرًا لأنه أخبرنا بنفسه أنها كانت قانونًا لليهود (الجزء الأول، القسم الثاني، الفصل الثامن، القسم ٢٣)، كما أنها قانون المسيحية أيضًا: انظر عهد حوريب، ص ٦١. أكاد أشك في ذلك، لأننا سنقرأ هنا، وأن إفساد الزواج، أو إفساد زوجات الرجال الآخرين، هو الجريمة التي سمح بها هؤلاء الوثنيون ظلمًا بهذه التسوية المالية.]

٢٨

[أو "لإفساد زوجات الرجال الآخرين، نفس التعويض."]

الفهرس

المقدمة	2
الكتاب الأول	6
حواشى الكتاب الأول	50
الكتاب الثانى	60
حواشى الكتاب الثانى	106